
أجاثا كرستي
المكتبة الثقافية
بيروت - لبنان

الضحيّةُ العاشِرة

أجَاتَا كرِيسْتي

الضحيّةُ العاشِرة

وقصصٌ أخرى

المكتبة الثقافية
بيروت - لبنان

الضحية العاشرة

- ١ -

- إلى اللقاء أيها الحبيب ..

- إلى اللقاء أيتها الحبيبة !

واسندت اليس مارون كتفها إلى الباب ، ووقفت تراقب زوجها وهو يبتعد في الطريق إلى القرية .

وما لبث الزوج أن انحرف في أحد المنحنيات وغاب عن بصرها . ولكنها ظلت مع ذلك في مكانها ، في نفس الوضع ، تنظر أمامها بعينين حالمتين ، وتعالج بأناملها - وهي شاردة الذهن - خصلة من الشعر عبث بها النسيم فتلاعبت على وجهها .

* * *

لم تكن اليكس مارون بارعة الجمال .. بل أنهـا لم تكن جميلة على

الاطـلاق .

ولكن وجهها ، وهو وجه امرأة تجاوزت سن الشباب منذ سنوات عديدة ، كانت تملوه مسحة من الهدوء والدعة لم يعهدها زملاؤهـا في المكتب الذي كانت تعمل به قبل زواجها ، حيث كانت تمثل الموظفـة النحيلة الجسم الصارمة الوجه ، ذات العقل المرتب ، والكفاءة العالية .. والتصرفات التي تتسم أحياناً بالغلظة والجفاء .

* * *

كانت اليكس قد تعلمت في مدرسة الحياة ، وشقت طريقها في أوعر السبل ، وظلت خمسة عشر عاماً ، من الثامنة عشرة من عمرهـا ، حتى الثالثة والثلاثين ، تكسب قوتها وقوت أمهـا المريضة ، من عملها ككاتبة اختزال .. وكان كفاحها من أجل البقاء هو ما أكسب قسمات وجههـا تلك الصلابة التي عرفت عنها قبل أن تتزوج .

ولقد عرفت اليكس الحب في وقت ما ، وكان الطرف الآخر زميلاً لها في المكتب يدعى ديك وندفورد ..

وعرفت بغريزة المرأة أن ديك يحبها ، ولكنها تظاهرت بأنهـا لا تعرف ..

وهكذا ظلا في الظاهر مجرد زميلين وصديقين .

وكان ديك يتقاضى مرتباً صغيراً ، وكان عليه أن يتحمل نفقـات تعليم أخيـه الصغير ، فكان التفكير في الزواج في هذه الظروف يعد

ضرباً من الجنون .

ثم جاءت النجدة فجأة ، وتخلصت الفتاة من الأحاسيس التي كانت تطحنها وهي تكد طوال يومها من أجل لقمة العيش ..

جاءتها النجدة من حيث لا تدري ، فقد ماتت إحدى قريباتها وتركت لها ثروة تقدر ببضعة آلاف من الجنيهات ، ويربى ريعها على الاثنين من الجنيهات في العام .

كان هذا الميراث الصغير ، بالنسبة اليها ، يعني الحرية والحياة والاستقرار ، ويعني أنها وديك لم يعودا بحاجة إلى الانتظار أكثر مما انتظرا !

ولكن رد الفعل عند ديك كان غير ما توقعت .

لم يكن قد باح لها بحبه بطريقة مباشرة ، ولم يقل لها قط أنه مولع بها .. فلما آلت اليها تلك الثروة ، بدا وكأنه لن يفعل ذلك أبداً ، فقد راح يتجنبها ما استطاع إلى ذلك سبيلاً ، وازداد وجوماً وانطواء على نفسه . وسرعان ما عرفت اليكس الحقيقة وفطنت إلى السبب .. السبب أنها أصبحت ذات ثروة وإيراد خاص .. وأن كبرياء ديك واعتداده بنفسه يمنعانه من طلب يدها .

ولم يزدها ذلك إلا اعجاباً به ، واكباراً له ، حتى لقد فكرت جدياً في ان تخطو هي الخطوة الأولى ، وحين همت بأن تفعل ذلك حتى دخل جيرالد مارتن حياتها فجأة ، وعلى غير انتظار .

* * *

كانت قد قابلته في منزل صديقة لها ، فأحبها من أول نظرة حباً عنيفاً ، ولم يمض أسبوع حتى طلب يدها ..

ولم تكن اليكس تعد نفسها من الفتيات اللاتي ينسقن مع تيار الحب في غير روية .. ولكنها وجدت بغتة أن الحب قد جرفها فعلا منذ أول لحظة وقع فيها بصرها على جيرالد .

ولم يخطر لها ببال أن هذا الحب الجارف ، وهذه الخطوبة السريعة ستثيران غيرة ديك وندفورد على نحو ما حدث ، فقد جاءها ذات يوم وهو يتميز حنقاً وغضباً وقال لها فيما قال :

– ولكن هذا الرجل غريب عنك تمـاماً ، وأنت لا تعرفين شيئا عنه .

فأجابت :

– كل ما أعرفه انني أحبه ، وانه يحبني .

– هل أنت واثقة من ذلك ؟ إنك لم تقابليه إلا منذ أسبوع واحـد .

فصاحت في غضب :

– ليس كل رجل بحاجة إلى أحد عشر عاماً لكي يعرف أنـه يحب فتاته .

فغر لونه وأجاب :

– لقد أحببتك منذ أن وقع بصري عليك .. وكنت أظن أنك تحبينني ..

فقالت في صدق :

— ذلك ما ظننته أنا أيضاً .. ربما لأنني لم أكن أعرف مـــا هو الحب ..

وهنا انفجر ديك مرة أخرى ، فهاج ومـاج .. وأرغى وأزبد . وهدد وتوعد .. ثم لجأ إلى الرجاء والتوسل ..

فلما ذهبت توسلاته سدى .. عاد إلى التهديد بقتـل الرجل الذي انتزعه من قلبها واستأثر بحبها ..

وبهتت اليكس ، وأدهشها أن ترى ذلك البركان الثـائر في أعماق هذا الرجل الهادىء الرصين .. الذي كانت تعتقد أنها تعرفه تمـــام المعرفـة !

* * *

تذكرت هذا اللقاء العاصف بينها وبين ديك وهي واقفة بباب المنزل بعد أن شيعت زوجها ببصرها حتى اختفى ..

كانت قـد تزوجت منذ شهر .. وكانت سعيدة إلى اقصى حدود السعادة .

ولكن هذه السعادة كان يشوبها دائماً شيء من القلق كلما غاب عنها زوجها الذي أصبح كل شيء في حياتها ..

وكان مصدر هذا القلق هو ديك وندفورد .

لقد رأت نفس الحلم ثلاث مرات منذ زواجها ، وفي كل مرة كان

المكان يختلف ، ولكن الحقائق لا تتغير

كانت ترى فيما يرى النائم ، أن زوجهـا ملقى على الأرض جثـة هامدة .. وأن ديك واقف بجواره ، وإنها تعلم عن يقين أن يد ديك هي اليد التي صرعت زوجها .

حلم مزعج ، ولكن ما كان يزعجها أكثر حينما تستيقظ ، هو المشهد الأخير في الحلم !

فهي في هذا المشهد .. تبدي ارتياحها لموت زوجها ، وتمد يدها الى قاتله شاكرة ومهنئة .. وينتهي بها المشهد وهي بين ذراعي ديك وتدفوره ..

- ٢ -

لم تذكر اليكس لزوجها شيئاً عن هذا الحلم ، ولكن الحلم أزعجها اكثر مما ينبغي ، فراحت تسائل نفسها : هل هو انذار ؟ هل هو تحذير من ديك وندفورد ؟

وانتبهت اليكس من تأملاتها على رنين جرس التليفون داخل المنزل ، فأسرعت إلى حيث كانت آلة التليفون وتناولت السماعة .

ولكنها ما كادت تسمع صوت المتكلم ، حتى ترنحت واسندت يدها إلى الجدار لكي تحفظ توازنها ..

هتفت متسائلة :

- من ؟

- ماذا حدث لصوتك يا اليكس ؟ كدت ألا أعرفه .. أنا ديك !

- آه .. أين .. أين أنت الآن ؟

- إنني اتكلم من حانة (السائح) .. اظن ان هذا هو اسمها ، حانة (السائح) .. أم لعلك لا تعرفين أن في قريتك حانة بهذا الاسم ؟ انني الآن في إجازة أقضيها في صيد السمك .. هل ثمة مانع

من أن أزوركما الليلة بعد العشاء ؟

فأجابت بحدة :

– كلا . لا يجب أن تأتي !

فساد الصمت قليلاً . ثم جاء صوت ديك .. وقد تغير تغيراً واضحاً :

– أرجو المعذرة ، فما اردت مضايقتكما .. لقد !

فقاطعته اليكس بسرعة ..

لا بد أنه وجد في جوابهـــا شيئاً من الشذوذ ، لقد كان جواباً شاذاً بالفعل ؟

قالت بصوت حاولت أن تجعله يبدو طبيعياً :

– إنما أردت ان اقول أننا على موعد مع بعض الأصدقاء الليلة .. هل لك في تناول طعام العشاء معنا غداً ؟

ويبدو أن ديك لاحظ ما في صوتها من فتور ، لأنه رد في هدوء وبنفس الأسلوب المهذب :

– شكراً جزيلاً .. ولكني أتوقع الرحيل بين لحظـة وأخرى ، فالأمر يتوقف على صديق لي قد يأتي ، وقد لا يأتي .. إلى اللقـاء يا اليكس .

وبعد صمت قصير ، أردف قائلاً بصوت مختلف تماماً :

– أتمنى لك كل التوفيق ايتها العزيزة .

فوضعت اليكس السماعة ، وتنهدت بارتياح ..

وقالت تحدث نفسها :

– لا يجب ان يأتي إلى هنا .. نعم .. لا يجب أن يأتي إلى هنا .. ولكن ماذا دهاني ؟ وما سبب هذا الاضطراب الذي دهمني ؟ على كل حال ، أنا سعيدة لأنه لن يأتي ..

قالت ذلك وتناولت قبعة عريضة كانت على المائدة ، وخرجت إلى الحديقة ..

ولكنها توقفت عند الباب .. والقت نظرة على الاسم المنقوش فوقه :

« كوخ البلابل » ..

* * *

لقد قالت لجيرالد مرة قبل زواجها :

– ألا ترى انه اسم عجيب ؟

فضحك وقال :

– أراهن أنك لم تسمعي قط بلبلا يغرد .. وأنا مسرور لذلك ، فإن البلابل لا تغرد إلا للعشاق ، ولسوف تسمعها حين تغرد في أمسيات الصيف .

وتذكرت اليكس كيف أنها سمعتها فعلا ، واحمر وجهها سعادة وهي تنظر الى الاسم المنقوش فوق باب الكوخ .

* * *

كان جيرالد هو الذي وجد الكوخ ، وقد جاءها ذات يوم وهو يكاد يطير فرحاً ، وقال لها أنه وجد بيت الأحلام ..

المنزل الذي يخيل اليه أنه شيد من أجلها .. إنه تحفة نادرة .. بل هو فرصة العمر !

وحينما ذهبت اليكس وتفقدته ، فتنت به على الفور ، واعترفت بأن جيرالد لم يبالغ في وصف جماله ومزاياه .

صحيح أنه كان يقع في بقعة منعزلة ، تبعد نحو ثلاثة كيلومترات عن أقرب قرية ، إلا أنه رائع بطرازه القديم ومرافقه الحديثة ، فهو مزود بالماء الساخن والكهرباء والتليفون ، به حمام فسيح لم تر اليكس أفسح ولا أجمل منه .

فتنت اليكس بالمنزل وأحبته حين رأته ، ولكن كانت هناك عقبة . إن صاحبه ، وهو شخص غني ، غريب الأطوار ، لم يكن يريد تأجيره ولكنه كان على استعداد لبيعه !

وكان جيرالد يملك إيراداً لا بـــأس به .. ولكن لم يكن في استطاعته التصرف في رأس المال .. وكان كل ما يستطيع تدبيره هو الف جنيه ، في حين أن صاحب المنزل يطلب ثمناً له ثلاثـة آلاف من الجنيهات !

وهنا تقدمت اليكس لنجدة جيرالد ..

كان المنزل قد استهوها ، فصممت على الاقامة فيه .. وكانت ثروتها عبارة عن سندات تدفع قيمتها لحامله ، ويمكن التصرف فيها بسهولة ، فقررت الاسهام بنصف ثمن المنزل ، وهكذا أصبح المنزل ملكاً لها ، ولم

تتقدم البكس في أية لحظة على ابرام هذه الصفقة .

صحيح أن الخدم كانوا يرفضون العمل في هذا المنزل الريفي البعيد عن العمران .. ولكن ذلك لم يزعج البكس كثيراً أو قليلاً .. لأنها كانت تتوق إلى الحياة العائلية ، وتجد متعة كبيرة في طهو الطعام وتدبير شؤون المنزل !

أما العمل في الحديقة الفسيحة المليئة بالزهور ، فقد كان يقوم به بستاني عجوز من أهل القرية مرتين في الأسبوع .

* * *

ابتعدت البكس عن باب المنزل وتوغلت في الحديقة ، وأدهشها أن ترى البستاني العجوز يعمل في حقل الورد ، ذلك لأن البستاني تعود الاشراف على الحديقة في يومي الاثنين والجمعة من كل اسبوع .. وكان ذلك اليوم ، هو يوم الأربعاء ..

سألته وهي تدنو منه :

– ماذا تفعل هنا يا جورج ؟

فاعتدل البستاني واقفاً وقال وهو يمس طرف قبعته البالية على سبيل التحية :

– كنت أتوقع انك ستدهشين يا سيدتي .. ولكن الأمر حدث على هذا النحو .. إن صاحب مزرعة (سكواير) سيقيم حفلاً في قصره

يوم الجمعة .. ولذلك قلت لنفسي أنه لن يضير مستر مارتن أو يضيرك أن اعمل هنا يوم الأربعاء بدلاً من يوم الجمعة ؟

فقالت اليكس :

— طبعاً .. طبعاً .. وإني أرجو لك ان تقضي وقتاً طيباً في حفلة صاحب المزرعة !

فقال جورج ببساطة :

— هذا ما أرجوه أيضاً يا سيدتي .. فليس هنا شيء أفضل من أن يأكل الانسان كفايته دون ان يدفع ثمن طعامه .. ولقد دعا صاحب المزرعة جميع عماله ، وانا منهم ، لتناول الغذاء على مائدته .. ولذلك خطر لي أن أراك قبل رحيلك لتعرف على رغباتك بشأن سور الحديقة خاصة وأنك لا تعرفين متى ستعودين .. اليس كذلك ؟

— ولكني لن ارحل يا جورج !

فحملق البستاني نحوها في دهشة وقال :

— ألا تعتزمين السفر إلى لندن غداً ؟

— كلا .. من أوحى اليك بهذه الفكرة ؟

فحك جورج رأسه في حيرة وأجاب :

— اني قابلت مستر مارتن في القرية امس فقال لي انكما ستسافران إلى لندن غداً ، وأنه لا يعرف متى ستعودان .

فضحكت اليكس وردت :

— هراء .. لا بد انك اسأت الفهم !

ولكنها مع ذلك شعرت بمزيج من الدهشة والحيرة .. وتساءلت ترى ماذا قال جيرالد للبستاني العجوز ، لكي يقع البستاني في هذا الخطأ العجيب ..

تسافر إلى لندن ؟ إنها لم تفكر قط في العودة إلى لندن مرة أخرى ..

قالت بإصرار وبصوت أجش :

ـ انني أكره لندن !

فقال البستاني في هدوء :

ـ آه . لا بد انني أسأت الفهم .. ولكن يخيل الي أنه قال ذلك بوضوح .. ومهما يكن من أمر فإنني سعيد بوجودكما هنا ، أنا ايضاً لا أحب لندن .. ولا اريد الذهاب اليها ، إنها مليئة بالسيارات ، وتلك هي الكارثة ، فإن الانسان لا يكاد يمتلك سيارة ، حتى يصاب بجنون السفر والترحال ، فلا يقر له قرار !

لقد كان مستر ايمز صاحب هذا المنزل رجلا هادئاً وديعاً إلى أن ابتاع سيارة .. فلم ينقض شهر واحد حتى عرض المنزل للبيع رغم الأموال الطائلة التي أنفقها في اصلاحه وتزويده بالكهرباء .

وقد قلت له مرة : (إنك لن تسترد شيئاً من النقود التي انفقتها) ، ولكنه أجابه : (سوف استرد كل بنس أنفقته ، ولن أبيع المنزل بأقل من الفي جنيه) .. وهذا ما حدث تماماً .

فقالت اليكس وهي تبتسم :

ـ إنه باعه بثلاثة آلاف من الجنيهات .

فقال جورج :

— بل بألفين .. هـذا هو الثمن الذي كان يطلبه ، والناس جميعاً يعلمون ذلك

— ولكنه باعه بثلاثة آلاف .

— إن النساء لا يعرفن الأرقام جيداً .. وأنا لا أصدق أن مستر إيز كان من البجاحة بحيث يطلب منك ثلاثة آلاف جنيه .

فقالت اليكس :

— إنه لم يطلب ذلك مني ، وانما طلبه من زوجي !

فقال جورج باصرار وهو يعود إلى عمله :

— كان الثمن الفي جنيه يا سيدتي ؟

- ٣ -

ولم تكلف اليكس نفسها عناء الاسترسال في مناقشة البستاني ، ومضت إلى أحد أركان الحديقة حيث اقتطفت بعض الزهور ..

وحين استدارت لتعود إلى المنزل ، وقع بصرهـا على شيء اسود صغير ملقى بين اوراق الشجر ، فانحنت والتقطته ، وعرفت فيه على الفور الدفتر الصغير الذي يسجل فيه زوجها مذكراته !

فتحته ، وتأملت صفحاته بشيء من الفضول .

لقد عرفت عن جيرالد ، منذ بداية حيـاتهما الزوجية ، شدة حرصه على الدقة والنظام والنظافة ، فهو يصر دائماً على تناول الطعام في نفس الموعد ، ويحرص على وضع برنامج يومه بدقة تامة ، ويحدد أوقـات عمله وتنقلاته بالساعة والدقيقة ..

ولم تتمالك اليكس من الابتسام حين قرأت ما سجله زوجها في دفتر مذكراته بتاريخ ١٤ مايو ..

قرأت :

« الزواج من اليكس ، بكنيسة سانت بيتر ، في الساعة الثانية والنصف . »

ابتسمت وقالت لنفسها :

- يا للأحمق الكبير !!

ومضت تتصفح اوراق الدفتر ، ثم توقفت فجأة وهمست :

- الأربعاء ١٨ يونيه .. أي اليوم !

ووجدت تحت هذا التاريخ سطراً واحداً بخط جيرالد الدقيق .. تضمنت هذه الكلمات :

« الساعة التاسعة مساء » .

ولا شيء غير ذلك ..

وتساءلت اليكس :

- ترى ماذا كان في نية جيرالد أن يفعل في الساعة التاسعة مساء ؟

وابتسمت وقالت لنفسها :

لو أن هذه القصة من القصص التي تقرأها عادة لكشفت لها هذه المذكرات بعض الحقـائق المثيرة ، ولوجدت في هذه الصفحة اسم امرأة اخرى .

ومضت تتصفح أوراق الدفتر بقلة اكتراث .. ووجدت فيها تواريخ مختلفة ومقابلات ، واشارات إلى صفقـات عمل ، ولم تقع إلا على اسم واحد .. هو اسمها !

ورغم ذلك فإنها أحست بقلق غامض وهي تضع الدفتر في جيبهـا وتواصل السير الى المنزل .. كلام ديك وندفورد حين قال لها :

(ان هذا الرجل غريب عنك تماماً .. وانت لا تعرفـين شيئاً عنه) .

رنت هذه الكلمات في اذنيهــا ، كما لو كان ديك وندفورد يسير بجوارها ، وينطق بها .

ولقد صدق ديك .. إذ الواقع انها لا تعرف شيئاً عن جيرالد ..

ان جيرالد في الأربعين من عمره ، ولا يمكن ان تكون حياته خلال هذه الأربعين سنة قد خلت من النساء !

* * *

وهزت اليكس رأسها في ضجر ..

انها لا ينبغي ان تسمح لمثل هذه الأفكار بأن تلح عليها .. فهناك اشياء اخرى اجدر باهتمامها .. ومنها على سبيل المثـال ، موضوع ديك وندفورد ، وهل ينبغي ان تصارح زوجها بأنه تحدث تليفونياً ، او لا ينبغي !

ان هناك احتمالاً لا يجب ان تسقطه من حسابها ، هو ان يكون جيرالد قد قابل ديك مصادفة في القرية ..

ولكن اذا حدث ذلك فمن المؤكد ان جيرالد سيخبرها حالما يعود ، وحينئذ يخرج الأمر من يدها ، اما إذا لم يحدث ..

واحست اليكس برغبة واضحـة في الا تذكر لزوجهـا شيئاً عن ديك وندفورد .

كانت واثقة من انها اذا فعلت ذلك فإن جيرالد سوف يقترح دعوة ديك لزيارتها ، وسيكون لزاماً عليها في هذه الحالة ان تصارحه بأن ديك قد

طلب بنفسه هذه الزيارة ، وأنها انتحلت عذراً لمنعه !

ولكن ماذا تقول له اذا سألها لماذا فعلت ذلك ؟ هل تحدثه عن ذلك الحلم ؟

إذا حدثته عن الحلم فإنه قد يضحك .. وأسوأ من ذلك انه قد يعيب عليها اهتمامها بهذه التفاهات !

وفي النهاية ، قررت ألا تقول شيئاً .. وكان ذلك اول سر تكتمه عن زوجها .. وقد أورثها ذلك احساساً بالضيق والقلق .

— ٤ —

عاد جيرالد من القرية قبيل موعد تناول الغداء ، وما ان سمعت اليكس وقع اقدامه حتى هرولت الى المطبخ وتظاهرت بالانهماك في طهو الطعام لتخفي ارتباكها .

وقد وضح لها على الأثر ان جيرالد لم يقـــابل ديك في القرية .. وشعرت من ذلك بمزيج من الارتيـــاح والهم ، فقد اصبح من الضروري ان تلتزم بالكتمان ، وتحرص على الا تفلت منها كلمة تشير الى حديث ديك التليفوني .

* * *

ونسيت اليكس كل شيء عن دفتر مذكرات زوجها . فلم تتذكره الا بعد ان تناولا العشاء وجلسا في غرفة المعيشة وفتحا نوافذها ليستقبلا نسمات الليل المعطرة بشذى زهور الحديقة !

قالت لزوجها :

— هوذا شيء نسيته في الحديقة ..

والقت اليه بالدفتر ، فرد :

– لا بد انه سقط مني !

– نعم .. وانا الآن اعرف كل اسرارك .

فابتسم وقال :

– ليس فيها ما يدينني !

– هل انت الليلة على موعد في الساعة التاسعة ؟

– على موعد ؟

وبهت ..

كان السؤال مباغتاً .. ولكنه سرعان ما تمالك نفسه .. وابتسم واجاب :

– نعم .. يا اليكس .. انني على موعد مع فتـــاة تشبهك كثيراً .

فقالت بشيء من الصرامة :

– لا افهمك .. انك تتهرب من الاجابة .

– كلا .. الواقع انني سجلت هـذا الموعد ليذكرني ببعض صور يجب ان اقوم بتحميضها .. واريدك ان تساعديني في هذه المهمة .

●

وكان جيرالد مارتن من هواة التصوير ، ولديه آلة تصوير قديمـة ، ولكن عدستهـا جيدة .. وقد تعود ان يقوم بنفسه بتحميض الصور

التي يلتقطهـــا .. في غرفة صغيرة ، في القبو اعدها خصيصاً لهذا الغرض !

قالت اليكس تعاتبه :

– وهل يجب تحميض هذه الصور في الساعة التاسعة تماماً ؟

فأجاب في شيء من الضيق :

– يا فتاتي العزيزة .. إن الانسان يجب ان يحدد وقتاً لكل عمل ، ولكل مرحلة من مراحل نشاطه ، حتى تنتظم أعمـاله وحيـاته .

فلاذت اليكس بالصمت لحظـة ، وراحت تراقب زوجهـا وهو يدخن في هدوء ، وقد استرخى في مقعده ، وأسند رأسه إلى ظهر المقعـد ..

وفجأة غمرتها موجة من الذعر لا تعرف مصدرها ، فصاحت قبل أن تتمكن من السيطرة على مشاعرها :

– أواه يا جيرالد ، كم أتمنى أن أعرف المزيد عنك .

فتحول اليها بوجه تعلوه الدهشة وقال :

– ولكنك تعرفين كل شيء عني أيتهـا العزيزة .. لقد حدثتك عن طفولتي في (نورثمبرلند) ، وعن حيـاتي في أفريقيا الجنوبية ، والسنوات العشر التي قضيتها في كندا ، وقد حالفني فيها النجـاح والتوفيق ..

فقالت بازدراء :

– لا تحدثني عن أعمالك !

فانفجر جيرالد ضاحكاً فجأة وقال :

— فهمت . إنك تريدينني أن أتحدث عن مغامراتي الغرامية ، لكن جميعاً سواء أيتها النسوة .. لا يهمكن سوى العامل الشخصي ..

فأحست اليكس بجفاف في حلقها ..

ولم تلبث أن تمتمت قائلة :

— ولكن .. لا بد أن تكون في حياتك بعض المغامرات الغرامية ليتني فقط أستطيع أن ..

ولم تتم عبارتها ..

وساد الصمت مرة أخرى !

وقطب جيرالد ما بين حاجبيه ، وقال بعد تردد بصوت فيه جدية لم تعهدها زوجته :

— هل ترين من الحكمة أن أحدثك عن غرامياتي يا اليكس ؟ إني لا أنكر اني عرفت بعض النساء ، لأني إذا أنكرت فإنك لن تصدقيني ولكني أستطيع ان أقسم لك وبصدق اني لم أعبأ بأية واحدة منهن ، ولم تسكن احداهن قلبي !

وكان في صوته نبرة صدق واخلاص طمأنت زوجته وأراحتها .

ونظر اليها جيرالد ، وسألها وعلى شفتيه ابتسامة :

— هل اقتنعت الآن يا اليكس ؟

ورمقها في فضول واستطرد :

— ماذا حملك على التفكير في هذه الموضوعات غير السارة في هذه

الليلة بالذات ؟

فنهضت اليكس واقفة ، وراحت تذرع أرض الغرفة في قلق ..

قالت :

– لا أعلم .. لقد كنت متوترة الأعصاب طوال اليوم .

فقال بصوت خافت وكأنه يتحدث إلى نفسه :

– هذا غريب .. وغريب جداً !

ردت اليكس :

– ما هو الشيء الغريب ؟

– لماذا تتحفزين لمهاجمتي على هذا النحو يا بنيتي العزيزة ؟ إنما أردت ان اقول ان سلوكك يبدو غريباً ، لأنك في العادة انسانة وديعة ملازمة العقل والتفكير ؟

فارتسمت على شفتي اليكس ابتسامة مغتصبة .

قالت :

– لقد خيل اليّ اليوم أن كل شيء يتآمر لمضايقتي وازعاجي ، حتى البستاني العجوز جورج .. لقد سيطرت عليه فكرة مضحكة هي أننا سنرحل إلى لندن .. لقد قال لي أنك أنت الذي أنبأته بذلك

فسألها بحدة :

– أين قابلته ؟

– انه جاء لمباشرة عمله اليوم بدلاً من يوم الجمعة .

فصاح في غضب :

– تباً العجوز الأحمق !

فنظرت اليه في دهشة وذهول !

كان وجهه متقلصاً حنقاً وغضباً ، ولم تذكر اليكس أنها رأته مغضباً على هذا النحو من قبل .

ولاحظ جيرالد دهشتها فحاول السيطرة على مشاعره ..

قـال :

– إنه عجوز احمق !

– ولكن ماذا قلت له لكي يتوهم اننا سنرحل ؟

– أنا ؟ انني لم أقل له شيئـاً .. آه .. تذكرت الآن .. اظن أنني قلت له مازحاً اننا قد نذهب إلى لندن في الصباح .. ويبدو أنه حمل المزحة على محمل الجد ، وظن أننا سنرحل إلى لندن حقـاً .. أو أنه لم يسمعني جيـداً .. ولا شك أنك أقنعته بخطئه .. اليس كذلك ؟

وانتظر جوابها بقلق فقالت :

– طبعـاً .. ولكنه رجل عجوز عنيد ، إذا تملكته فكرة تعذر اقتلاعها من ذهنه .

ثم حدثته عن اصرار جورج في موضوع ثمن المنزل .. واصغى اليهـا جيرالد في صمت ، ثم قال ببطء :

– لقد كان مستر إيمز على استعداد لأن يتقاضى الفين من الجنيهات على أن يرهن المنزل ضماناً للألف الباقية .. وأعتقـد أن ذلك هو سبب الخطأ الذي وقع فيه جورج .

فقالت اليكس موافقة :

ـ ربما ..

ثم نظرت إلى الساعة المثبتة على الجدار وقالت وهي تشير اليها :

ـ اظن أنه ينبغي عليك الآن أن تذهب إلى القبو لتحميض الأفلام وفقاً للموعد الذي حددته ، فالساعة الآن التاسعة وخمس دقائق .

فأجاب في هدوء :

ـ لقد غيرت رأيي .. ولن أقوم بتحميض الأفلام الليلة .

- ٥ -

لا أحد يعلم كيف تفكر المرأة .. أو كيف يعمل عقلها ..

فقد أوت اليكس إلى فراشها في تلك الليلة وهي تشعر بالراحة والطمأنينة بعد ان تلاشت الخواطر التي ازعجتها وزلزلت سعادتها .

ولكن ما أن أقبل مساء اليوم التالي حتى تضافرت بعض القوى الخفية لتعكير صفوها .

لم يتصل بها ديك وندفورد مرة أخرى ، ولكنها أحست بتأثيره من الأفكار التي ألحت عليها .

لقد خيل اليها أكثر من أنها تسمع صوته وهو يقول :

– هذا الرجل غريب عنك تماماً .. وأنت لا تعرفين شيئاً عنه !

ومع هذه الكلمات .. برزت الصورة التي ارتسمت في ذاكرتها لوجه زوجها حين قال :

– هل ترين من الحكمة أن أحدثك عن غراميأتي يا اليكس ؟

لماذا قال ذلك ؟

لقد كانت كلماته تنطوي على التحذير .. بل على التهديد ، تماماً كما

لو كان قد قال :

– خير لك ألا تتدخلي في شؤوني الخاصة يا اليكس ، وإلا أصبت بصدمة شديدة .

ولم يأت صباح يوم الجمعة حتى كانت اليكس قد اقنعت نفسها بأن جيرالد كانت في حياته امرأة أخرى ، وأنه يحاول اخفاء هذه الحقيقة عنها .

ولم تلبث غيرتها التي استيقظت ببطء ، أن تفاقمت بسرعة !

وتساءلت اليكس :

– ترى هل كان موعد الساعة التاسعة الذي سجله في دفتر مذكراته هو موعد لقائه مع امرأة ؟ وهل كانت حكاية تحميض الأفلام مجرد كذبة من وحي الخاطر تفتق عنها ذهنه للخروج من المأزق ؟

منذ ثلاثة أيام فقط ، كانت على استعداد لأن تقسم بأنها تعرف زوجها ظاهراً وباطناً ، ولكنها الآن تشعر بأنه غريب عنها تماماً .. وانها لا تعرف شيئاً عنه !

وتذكرت غضبه على جورج العجوز ، ذلك الغضب الذي لم يكن له ما يبرره .. والذي يتعارض تماماً مع سماحته العادية .. ودماثة خلقه ؟

قد يكون الأمر في ذاته تافهاً ولا أهمية له ، ولكنه يدل على أنها لا تعرف الرجل الذي تزوجته معرفة تامة !

وكانت هناك بعض أشياء صغيرة تتطلب ذهابها إلى القرية لشرائها .

فاقترحت على جيرالد أن تنطلق إلى القرية خلال الوقت الذي تعود ان يقضيه في الحديقة .

ولشد ما كانت دهشتها حين رأته يعارض بقوة ، ويصر على الذهاب بنفسه إلى القرية بينما تبقى هي بالمنزل ..

ولم يسعهـــا إلا الرضوخ ، ولكن اصراره ادهشها وأزعجها ، وجعلها تتساءل :

ـ لماذا يحرص على منعها من الذهاب إلى القرية ؟

وفجأة . لمع في ذهنها الجواب الذي يوضح كل شيء !

ألا يمكن أن يكون جيرالد قد قابل ديك مصادفة في القرية وكتم الأمر عنها ؟

انها حين تزوجت جيرالد ، لم تكن تغـــار عليه .. ثم استيقظت غيرتها فجـــأة .. ألا يمكن أن يكون قد حدث لجيرالد نفس الشيء ؟

ألا يمكن أن يكون غرضه هو منعها من مقابلة ديك وندفورد ؟

وكان هذا التفسير يتفق مع الحقائق ، ويقضي في ذات الوقت على ما أصابها من حيرة وبلبلة ، فأخذت به واطمأنت اليه .

ثم أزف وقت تناول الشاي ومر ، فانتابها القلق وساورتها الشكوك مرة أخرى .

وحاولت آخر الأمر أن تلطف قلقهـــا وتوتر أعصابها بالانهماك في العمل ، فاقنعت نفسها بأن المنزل بحاجة إلى التنظيف ، وصعدت إلى غرفة زوجها وبيدها منفضة لإزالة الغبار !

وراحت تقول لنفسها المرة تلو المرة :

– لو استطيع فقط أن أتأكد ؟

وعبثاً حاولت أن تقنع نفسها بأن زوجها لا بد أن يكون قد تخلص منذ وقت طويل من أية أدلة تدينه !

ولكن هذا الرأي ، كان يقابله رأي آخر يقول بأن الرجال كثيراً مما يحتفظون – لاعتبارات عاطفية – بأشياء قد تدينهم وتوردهم موارد التهلكة .

●

وأخيراً ، استسلمت اليكس للاغراء ، وشرعت ، وحمرة الخجل تعلو وجنتيها ، في فتح أدراج زوجها ، وفحص محتوياتها من الرسائل والوثائق .. بل وفعلت أكثر من ذلك إذ فتحت دولاب زوجها وراحت تبحث في جيوب ثيابه .

درجان فقط من ادراج المكتب لم تصل اليهما يدها ، لسبب بسيط هو انهما كانا مغلقين ..

ولكنها كانت قد ضربت بالخجل والحياء عرض الأفق .

كانت واثقة من أنهـــا ستجد ، في احد هذين الدرجين ، دليلاً لتلك المرأة الوهمية التي أحبها زوجهـا فيا مضى .. والتي أصبحت تنغص حياتها ..

وتذكرت أن جيرالد ترك حزمة مفاتيحه على المدفأة في الطـ
الأرضي ، فجاءت بهـا .. وراحت تجرب المفاتيح الواحد بعد ا
ونجحت في فتح احد الدرجين ، واخذت تفحص محتوياته .

وجدت به دفاتر شيكات ، ومحفظة مليئة بالأوراق المالية ..

وفي مؤخرة الدرج ، وجدت مجموعة من الرسائل محزومة بعنايا
من حرير ..

وتلاحقت أنفاسها بسرعة وهي تحـل الخيط ، وتبسط الر
على المكتب .

ولم تلبث أن احمر وجهها وأعادت حزم الرسائل .. ووضـ
حيث كانت ..

ذلك أنها كانت رسائلها هي ..

الرسائل التي بعثت بها إلى جيرالد قبل زواجها .

وتحولت إلى الدرج الثاني .. لا لأنهـــا كانت تتوقع أن
فيه شيئاً ذا أهمية .. وإنما لكي تطمئن إلى أنها لم تترك مـ
دون تفتيش !

●

وشعرت بضيق شديد حين لم تستطع فتح الدرج بأي من
التي تركها جيرالد ..

ولكنها لم تكن على استعداد لقبول الهزيمة ، فانطلقت إلى غرف المنزل ، وعادت بمجموعة من مفاتيح الدواليب والأدراج والأبواب ، وتنفست الصعداء حين أدارت مفتاح دولابها الخاص ، في قفل الدرج فقفتح .

ولكنها لم تجد بالدرج سوى مجموعة من قصاصات الصحف تغير لونها بمرور الزمن ..

تنفست الصعداء .

ولكنها لم تجد بأساً من القاء نظرة على مضمون هذه القصاصات القديمة ، لتعلم سبب اهتمام جيرالد للاحتفاظ بها .

كانت كلها تقريباً من صحف أمريكية يرجع عهدها إلى سبع سنوات مضت .. وكلها تتحدث عن محاكمة رجل محتال يدعى تشارلز لومار ..

وفهمت اليكس مما قرأته أن لومار اتهم بقتل بعض النساء اللاتي وقعن في شباكه ، وإن جثة إحدى النساء وجدت مدفونة في قبو منزل كان قد استأجره ، وأن عدداً من النساء اللواتي اقترن بهن ، قد اختفين تماماً وانقطعت أخبارهن ، ولم يسمع عنهن شيئاً ، وان عدد ضحاياه من النساء قد بلغ تسع سيدات .

وقد دافع لومار عن نفسه بمهارة ، واستعان بابرع العقليات القانونية في الولايات المتحدة الأمريكية .. ولو قد حوكم في انجلترا لأطلق سراحه لعدم كفاية الأدلة ، ولكن هيئة المحلفين في المحكمة الأمريكية وجدته (غير مذنب) في جريمة القتل ، وأدانته في تهم أخرى منها

الاحتيال وتعدد الزوجات ، وقضت المحكمة بسجنه عدة سنوات .

وتذكرت اليكس اهتمام الرأي العام بهذه القضية ، والضجة التي أثارها فرار لومتر من السجن بعد ثلاث سنوات !

ولم يقبض على هذا المجرم بعد ذلك أبداً ..

غير أن شخصيته الغريبة .. وتأثيره العجيب على النساء ، كانا موضوع منـــاقشات مطولة في الصحف الانجليزية في ذلك العهد .. كذلك تحدثت الصحف باسهاب عن براعته في الدفاع عن نفسه .. وعن سقوطه فاقد الوعي في قفص الاتهام اكثر من مرة بسبب إصابته بضعف في القلب ، وإن كان البعض قد فسر نوبات الاغماء بأنها دليل على قدرات المتهم وبراعته في التمثيل .

●

ووجدت اليكس صورة المتهم في إحدى القصاصات ، فأمعنت النظر فيها بشيء من الفضول ..

كانت صورة رجل طويل اللحية .. يخيل الناظر اليه أنه أحد العلماء أو أساتذة الجامعات .

وذكرتها الصورة بوجه تعرفه ؟

وفجأة ، أدركت ان الصورة تذكرها بوجه جيرالد ..

نفس العينين ، ونفس الجبين !

لعل ذلك هو سبب احتفاظ جيرالد بالقصاصات ..

ووقعت عيناها على العبارة التي كتبت تحت الصورة .. وفهمت منها أن المتهم كان يسجل في دفاتر مذكراته تواريخ فتكه بضحاياه من النساء ، وأن إحدى النساء شهدت ضده ، وتعرفت عليه وهو في قفص الاتهام وهو في قفص الاتهام من ندبة في رسغ يده اليسرى ؟

وهنا ركبت اليكس وسقطت القصاصات من يدها .

لقد كانت هناك ندبة في رسغ يد جيرالد اليسرى !

- ٦ -

دارت الدنيا حولها ..

وقد أدهشها فيا بعد ، انها ربطت بمثل هذه السرعة والثقة بين جيرالد مارون وتشارلز لومار .

لقد شعرت في قرارة نفسها بأنها شخص واحد ، وسلمت بهذه الحقيقة بأسرع من رد الطرف ، ودون أي تردد .

وبدأت بعض الملامح الصغيرة المتفرقة تطوف بذهنها ، ثم تتجمع لتشكل حقيقة كبرى واضحة المعالم .

إن النقود التي دفعها ثمناً للمنزل ، هي نقودها وحدها ، حصيلة السنوات التي ائتمنته عليها . وهو لم يسهم من ماله في ثمن المنزل بقليل أو كثير .

بل أن الحلم الذي ألح عليها ثلاث مرات ، قد وضح الآن مغزاه الحقيقي !

لقد كانت في قرارة نفسها ، وبعقلها الباطن ، ترهب جيرالد مارون وتريد الفرار منه ..

وكان ديك وندفورد – في عقلها الباطن أيضاً – هو الشخص الذي تريد أن تفزع اليه في طلب النجدة والغوث .

هذا الحلم ، كان أيضاً من العوامل التي جعلتها تتبين الحقيقة وتصدقها بغير تردد .

والحقيقـــة .. هي أن جيرالد مارتن ، وتشارلز لومار شخص واحد .. وأنها ستكون الضحية التالية لهذا السفاك في موعد لعله أقرب مما تتصور .

نعم .. إنها ستكون الضحية العاشرة ، ما في ذلك شك ..

وافلتت من فمها صيحة ذعر حين تذكرت الموعد الذي سجله جيرالد في دفتر مذكراته ..

« الأربعاء .. التاسعة مساء » .

والقبو ، حيث توجد غرفة التصوير .. لقد سبق له ان فتك باحدى ضحاياه ، ودفنها في قبو منزله .

لا بد إذاً انه كان ينتوي الفتك بها في الساعة التـــاسعة من مساء اليوم الماضي ..

ولكن .. كيف وجد الجرأة على تسجيل موعد ارتكاب الجريمة بخط يده في دفتر مذكراته ؟

انه نوع من الجنون ، ما في ذلك شك ..

ولكن لا .. ذلك كان اجراء منطقياً .. فلقد كان يحرص على تسجيل مواعيد عمله بدقة متناهية ، وكان القتل بالنسبة اليه عملاً لا يختلف

عن غيره من الأعمال .

ولكن لماذا لم يفتك بها في ذلك الموعد ؟

ومن أنقذها ؟

هل تردد في آخر لحظة ؟

كلا .

وجاءها الجواب في لمحة خاطفة !

إن من انقذها هو جورج العجوز ..

وهنا فقط أدركت سر غضب زوجها وسخطه على ذلك البستاني الشيخ ..

لا شك أنه مهد السبيل لجريمته بأن أخبر كل من قابله بأنهما يعتزمان السفر إلى لندن في اليوم التالي .. ثم جاء جورج لمباشرة عمله على غير انتظار .. وحدثها عن موضوع السفر إلى لندن فنفته .. وحينئذ خشي زوجها أن يردد البستاني العجوز الحديث الذي دار بينه وبينها . فأحجم عن قتلها في تلك الليلة ..

●

ومرت بجسدها رعدة حين اكتشفت أنها نجت من الموت بأعجوبة !

إذ لولا أنها ذكرت لزوجها عرضاً ، ذلك الحديث العابر الذي دار بينها وبين البستاني ، لما تردد زوجها في الفتك بها في الموعد الذي حدده ..

والآن عليها ان تتحرك ؟ إن الوقت ضيق ولا ينبغي أن تضيع دقيقة واحدة ..

يجب ان تغادر المنزل في الحال قبل أن يعود جيرالد !

●

أعادت القصاصات إلى مكانها وأغلقت الدرج ، ثم وقفت جامدة في مكانها كأنما سمرت قدمـاهـا بالأرض ..

ذلك أنهـا سمعت صرير باب الحـديقة .. فعلمت أن زوجها قد عاد ..

وشل الرعب حركتها لحظة .. ثم تسللت إلى النـافذة وأطلت من وراء الستار ..

نعم ، لقد رجع زوجها !.

كان يجتاز الحديقة وهو يبتسم ويترنم باحدى الأغنيات .

وكان يحمل في يده شيئاً جعل قلبها يغوص بين جنبيهـا .. ذلك الشيء كان جاروفاً مما يستخدم في حفر الأرض .. وأدركت بغريزتها انه يعتزم قتلها في تلك الليلة ؟

ووجدت انه لا تزال أمامها فرصة للفرار !

وكان جيرالد قد واصل سيره وهو لا يزال يترنم ، واتجه نحو الجدار الخلفي للمنزل ..

ولم تتردد اليكس .. وهبطت درج السلم وثباً ، واندفعت نحو الباب .. ولكنها ما كادت تخرج من المنزل ، حتى رأت جيرالد مقبلاً نحوها !

رآها وهتف قائلاً :

– هالو ! لماذا تركضين ، وإلى أين تسرعين هكذا ؟

فحاولت أن تتظاهر بالهدوء وأن تبدو طبيعية ..

لقد أفلتت الفرصة من يدها هذه المرة ، ولكنها إذا استطاعت ألا تثير ريبته ، فسوف تسنح لها فرصة أخرى !

بل لعل الفرصة سانحة الآن ؟

قالت بصوت رن في اذنيها ضعيفاً متخاذلاً :

– كنت أريد أن أمشي إلى نهاية الطريق ثم أعود

فقال جيرالد :

– حسناً . سأرافقك !

فردت بانفعال :

– كلا يا جيرالد .. أرجوك .. انني متوترة الأعصاب وأشعر بصداع وافضل أن أمشي بمفردي .

فقال وهو يصعدها بعينيه :

– ماذا دهاك يا اليكس ؟ إنك شاحبة الوجه وترتجفين !

فأجابت وهي تحاول أن تبتسم :

– ليس بي من شيء .. إنني أشعر بصداع ، هذا كل ما في الأمر ، ولكني أرجو أن يفيدني السير في الهواء الطلق !

فقال وهو يضحك :

ـ لا تحاولي أن تثنيني عن مرافقتك ، لأنني سأرافقك سواء أردت أو لم تريدي .

ترى هل ساوره الشك في أنها عرفت حقيقته ؟

•

وبذلت قصارى جهدها لكي تبدو في حالتهـا الطبيعية ، ولكنهـا شعرت بأنه ينظر اليها من ركن عينيه بين الفينة والفينة ، وأدركت أنها لم تنجح تماماً في إزالة شكوكه .

•

وحينا عادا إلى المنزل ، طلب اليها بالحـاح واصرار أن تتمدد في فراشها التماساً للراحة ، وأحضر زجاجة (كولونيا) ، وضمخ صدغيهـا وجبينها كما يفعل الزوج المحب المخلص ..

وأحست اليكس بأنهـا موثقـة اليدين والقدمين في مصيدة ، ولا حول لها ولا قوة .

ولم يتركها جيرالد بمفردها لحظة واحدة ، ورافقها إلى المطبخ لمعاونتها في اعداد وجبة العشاء .

وكان أسوأ عشاء تناولته طوال حياتها .. كانت تشعر بأن الطعام يخنقها ويحبس أنفاسها ، ولكنها أرغمت نفسها على ابتلاعه ، بل وحاولت

أن تبدو مرحة وطبيعية .

كانت تعلم عن يقين بأنها تناضل من أجل الحياة .. فهي وحدها مع هذا الرجل .. في ذلك المنزل الموحش .. بمنأى عن كل عون أو نجدة ..

كانت تحت رحمته تماماً ، وكل أملها أن تزيل شكوكه ، حتى يطمئن اليها ، ولو لفترة قصيرة ، ربما تصل إلى التليفون في الردهة وتطلب النجدة .

ذلك كان املها الوحيد الآن ..

●

وتبلج لها شعاع من الرجاء حين تذكرت كيف تخلى زوجها عن خطته وعدل عن ارتكاب جريمته يوم الأربعاء .

هب أنها زعمت له أن ديك وندفورد قد اتصل بها تليفونياً ، وأنه الآن في طريقه لزيارتها ؟

●

وهمت بأن تتكلم ، ولكن الكلمات اضطربت على شفتيها ، ولم تلبث أن عدلت عن هذه الفكرة .

إن هـذا الرجل لن يسمح لأية عقبة بأن تحول بينه وبين خطته

مرة أخرى .

إنه يخفي تحت هدوئه الظاهري عزيمة صلبة كالفولاذ ، فإذا قالت له أن ديك وندهام في طريقه اليها ، فإن ذلك قد يدفعه إلى التعجيل بارتكاب جريمته ..

انه قد يقتلهـا على الفور ، ثم يتصـل بديك وندفورد تليفونياً ، ويطلب اليه في هدوء ، أن يرجىء زيارته لأنها قد دعيا فجأة لزيارة بعض الأصدقاء .

يا إلهي !! لو كان ديك وندفورد في طريقه اليها الآن حقاً !! لو كان ديك ..

●

وومض في ذهنها خاطر فجائي .. ونظرت إلى زوجهـا خلسة .. كأنما لترى ما إذا كان قد قرأ ما يدور بخلدها .

وماان انضجت الفكرة في ذهنها ، حتى عـادت اليها شجـاعتها ورباطة جأشها .. وأحست بطمأنينة وثبـات أدهشاها هي نفسها .. فنهضت من مقعدها ، وأعدت القهوة وحملتها إلى الشرفة حيث تعودا قضاء أمسياتها ! .

وفجأة قال جيرالد :

ـ أود ان اذكرك بأننا سنقوم بتحميض الأفلام الليلة .

مرت بجسدها رعدة شديدة ، ولكنها أجابت بقلة اكتراث :

– ألا يمكنك تحميضها وحدك ؟ إنني متعبة الليلة .

فابتسم وأجاب :

– إن العملية لن تستغرق وقتاً طويلاً .. وأعدك بأنك سوف لا تشعرين بالتعب بعدها .

ويبدو ان العبارة راقته لمــــا تنطوي عليه من معنى خفي ، إذ ازدادت ابتسامته اتساعاً ، بينما زمت اليكس شفتيها لتمنع نفسهــــا من الصراخ ..

ولكنها ادركت ان الوقت قد حان لتنفيذ فكرتها .

فنهضت واقفة وقالت بقلة اكتراث :

– سأتصل تليفونياً بالجزار ، فابق حيث انت .. لا ضرورة لأن تبرح مكانك ..

فهتف قائلاً :

– الجزار ؟ في هذا الوقت من الليل ؟

– إن حانوته مغلق طبعاً ايها الأبله ، ولكني سأتصل به في منزله ، إن غداً يوم السبت ، وأنا اريده ان يحجز لي قطعة من لحم العجول للشواء قبل ان يتخاطف الزبائن اجود القطع .. إنه رجـل لطيف ، ومستعد دائماً لتلبية كل مطالبي ؟

- ٧ -

وهرولت اليكس إلى داخل المنزل ، وأغلقت الباب خلفها ..

وسمعت جيرالد يقول :

ـ لا تغلقي الباب ..

واسعفها ذهنها بالجواب المناسب ..

قالت بسرعة :

ـ أخشى أن يغزو البعوض المنزل ، وأنا أمقت البعوض .. هل تتوهم انني سأغازل الجزار أيها الأبله ؟

وما أن وصلت إلى الردهة حتى اختطفت سماعة التليفون ، وطلبت رقم فندق (السائح) .

وتم الاتصال بينها وبين الفندق على الفور ، فسألت :

ـ ألا يزال مستر ديلك وندفورد بالفندق ؟ هل أستطيع التحدث اليـه ؟

ثم وثب قلبها بين ضلوعهـا ..

فقد دفع زوجها الباب ودخل ..

قالت في دلال :

– اذهب يا جيرالد .. أرجوك .. إنني لا أحب ان ينصت اليّ أحد وأنا اتحدث بالتليفون !

فضحك وقال وهو يلقي بنفسه على أحد المقاعد :

– أهو الجزار من تتحدثين اليه حقاً ؟

فأسقط في يدها ، وتملكها اليأس ..

لقد فشلت خطتها مرة أخرى ..

بعد قليل ، سيتناول ديك وندفورد السماعة ويتحدث اليهـا ، فهل تجازف بكل شيء ، وتصرخ في طلب النجدة ؟

وأنها في أشد حالات الحيرة واليأس ، إذ بهـــا ترى الزر الصغير المثبت بالسماعة ، الذي يسمح لصوتهـا ، أو لا يسمح له بالوصول إلى الطرف الآخر ..

وأوحى اليها هذا الزر بخطة جديدة ..

قالت لنفسها :

– إنها خطة صعبة التنفيذ .. لأنها تتطلب اليقظة وحضور الذهن وحسن اختيار الكلمات المناسبة ، مع الجرأة وعدم التردد ، ولكني أعتقد أنني أستطيع تنفيذها ، بل يجب أن أنفذها ..

وسمعت صوت ديك وندفورد في الطرف الآخر ..

فضغطت الزر قائلة :

– مسز اليكس مارتن تتكلم من منزل البلابل ..

احضر ..

ثم رفعت اصبعها عن الزر ، فانقطع الاتصال التليفوني .

ولكنها مضت تقول :

— .. غداً صباحاً رطلين من لحم العجول .

وضغطت الزر ليحدث الاتصال التليفوني .. واستطردت قائلة :

— إن الأمر هام جداً ؟

ورفعت اصبعها عن الزر ومضت تقول :

— شكراً لك يا مستر هالواي ، ومعذرة من ازعاجك في مثل هذا الوقت من الليل ، ولكنها ..

وضغطت الزر واستطردت قائلة :

— مسألة حياة أو موت ..

ثم رفعت اصبعها عن الزر قائلة :

— حسناً .. غداً صباحاً ..

وضغطت الزر وقالت :

— بأسرع ما يمكن ؟

ثم وضعت السماعة ، واستدارت نحو زوجها وهي تلتقط أنفاسها بصعوبة ..

قال لها :

— أبهذا الأسلوب تتحدثين إلى الجزار ؟

فردت وهي تصطنع المرح :

— انه أسلوب النساء أيها العزيز ..

كانت وجنتاها موردتين من فرط الانفعال ..

إن جيرالد لم يلاحظ شيئاً .. أما ديك ، سواء فهم أو لم يفهم ، فإنه سيأتي ختماً .

●

وانتقلت إلى غرفة المعيشة ، واضاءت المصباح .

قال جيرالد وهو ينظر اليها بفضول ودهشة :

ـ أراك ممتلئة نشاطاً وحيوية ؟

فأجابت :

ـ لا غرابة في ذلك ، فقد زال الصداع !

وجلست في مقعدها المألوف .. وابتسمت لزوجها وهو يتهالك في المقعد المقابل .

لقد نجحت !

الساعة الآن الثامنة و ٢٥ دقيقة ، ومن المحقق أن ديك سيحضر قبل أن تدق الساعة التاسعة ؟

قال جيرالد شاكياً :

ـ لم تعجبني القهوة التي احتسيتها الآن ، كانت مرة المذاق .

فردت :

ـ لقد صنعتها من نوع جديد من البن على سبيل التجربة ، ومادامت لم تعجبك فلن أبتاع هذا النوع مرة اخرى .

قالت ذلك وتناولت قطعة من القماش واخذت تطرزها ، بينما شرع

جيرالد في قراءة أحد الكتب .

ولكنه ما لبث ان نظر إلى الساعة وطرح الكتاب بقربه وتمتم :

– الساعة الآن الثامنة والنصف .. وقد آن لنا ان نذهب إلى القبو لتحميض الأفلام ؟

فسقطت قطعة القماش من يد اليكس ..

ردت باضطراب :

– لا يزال الوقت مبكراً ، فلننتظر حتى الساعة التاسعة ؟

– كلا يا فتاتي .. انني حددت الساعة الثـــامنة والنصف موعداً للعمل .. حتى يتسنى لك ان تأوي إلى فراشك في ساعة مبكرة .

– ولكني افضل الانتظار حتى الساعة التاسعة .

– انت تعلمين انني التزم دائماً بالموعد الذي احدده ، هلمي بنـــا يا اليكس ، إني لن انتظر دقيقة اخرى !

فنظرت اليه .. وشعرت ، على الرغم منهـــا ، بموجة من الذعر تغشى جسدها !

لقد سقط القناع اخيراً .

رأت يديه ترتجفان ، وعينيه تتألقان ، ولاحظت انه لا يكف عن ترطيب شفتيه الجافتين بلسانه !

لقد تملكته شهوة القتل ، ولم يعد يهتم باخفاء انفعاله ولهفته .

وتمتمت اليكس لنفسها :

– نعم ، إنه لا يستطيع الانتظار ، إنه كالمجنون !

ومشى اليها ، والقى بيده على كتفها وأنهضها عنوة وهو يقول :
– هلمي يا فتاتي ، وإلا حملتك إلى القبو .

قال ذلك في هدوء ، ولكن بصوت ينطوي على وحشية روعتها ؟
وبحركة فجائية ، اودعتها كل ما تملك من قوة ، تخلصت من قبضته ،
وتراجعت حتى التصقت بالجدار .

كانت بلا حول ولا قوة ، وليس في استطاعتها الفرار ..
بـل ليس في مقدورهـا ان تفعل شيئاً على الاطلاق ، وها هو
يقترب منها ..

قـال :
– هلمي يا اليكس ؟
فصرخت :
– كلا ، كلا !
وبسطت يديها كأنما لتدفعه عنها ، وصاحت :
– قف يا جيرالد .. أريد أن أقول لك شيئـاً .. أريد أن
اعترف لك .
فتوقف ، وقال بفضول :
– تعترفين ؟
كانت كلمة الاعتراف ، هي أول كلمة تبادرت إلى ذهنها فنطقت بها
دون أن تعي .. ثم أرادت أن تثير اهتمامه وتصرفه عما عزم عليه ،
فمضت تقول في يأس :
– نعم ، أريد ان اعترف لك .

فنظر اليها بازدراء وسأل :

- بعلاقة بينك وبين عاشق آخر فيما أظن ؟

- كلا .. أريد ان اعترف لك بشيء آخر .. يمكنك ان تسميه جريمة ؟

ولاحظت على الفور إنها مست وتراً حساساً ، وإنها استطاعت أن تثير اهتمامه ..

وأشعرها ذلك بالطمأنينة .. وبأنه لا يزال في مقدورها أن تسيطر على الموقف .

قالت في هدوء :

- يحسن بك أن تجلس ..

ومضت إلى مقعدها فجلست عليه ، واكثر من ذلك أنها انحنت وتناولت قطعة القماش التي كانت تطرزها .

كانت تتظاهر بالهدوء والثبات ، ولكن عقلها كان يعمل بسرعة .. لتلفيق قصة خليقة بأن تثير فضوله واهتمامه إلى أن تأتي النجدة .

وبدأت تتحدث ببطء ، قالت :

- لقد قلت لك مرة انني عملت كاتبة اختزال طوال خمسة عشر عاماً ، ولكن تلك لم تكن الحقيقة ..

الحقيقة هي انني انقطعت عن العمل مرتين .. الأولى وأنا في الثانية والعشرين من عمري حين التقيت برجل متقدم في السن ، يملك ثروة صغيرة .. فأحبني ، وطلب الاقتران بي ، فوافقت

وتزوجنا !

وتريثت قليلا ، ثم استطردت قائلة :

– وبعد الزواج ، اقنعته بالتأمين على حياته لصالحي .

ورأت دلائل الاهتمام على وجه زوجها ، فمضت في حديثها ، بمزيد من الثقة والاطمئنان ، قالت :

– وحدث خلال الحرب ، انني عملت بعض الوقت في صيدلية احد المستشفيات العسكرية .. وعرفت الكثير عن العقاقير النادرة والسموم .

وصمتت ، ونظرت اليه .

كان اهتمامه المفرط واضحاً في عينيه .. ولا عجب ، فإن المجرم يهتم دائماً بأنباء الجرائم ، وهي قد قامرت على هذه الحقيقة ونجحت ؟

ونظرت خلسة إلى عقربي الساعة .

كانت الساعة قد بلغت الثامنة و ٢٥ دقيقة .

قالت :

– كان يوجد نوع من السم على شكل مسحوق أبيض ، تكفي كمية قليلة جداً منه لقتل من يتناولها .. أنت تعرف شيئاً عن السموم ، أليس كذلك ؟

القت هذا السؤال على سبيل الاختبار ، حتى إذا كان الجواب بالايجاب توخت الحذر في قصتها .

ولكنه أجابها :

ـ كلا ، انني لا أعرف عنها إلا القليل .

فتنهدت بارتياح وردت :

ـ لا شك انك سمعت عن عقار الميوسكين ؟ إن مفعول ذلك السم لا يختلف عن مفعول الميوسكين ، مع فارق واحد ، هو أنه لا يترك أثراً ، وأي طبيب يفحص جثة من يموت به لا يسعه إلا ان يقرر أن الوفاة طبيعية ، نتيجة هبوط في القلب .

وذات يوم سرقت كمية صغيرة من هذا السم واحتفظت بها .

وصمتت لتستجمع افكارها ، فقال جيرالد :

ـ استمري ؟

ـ كلا ، إنني خائفة ، سأروي لك القصة في وقت آخر .

فصاح وقد نفد صبره :

ـ بل الآن ، اريد ان اسمعها الآن .

ـ كان قد مضى على زواجنا شهر واحد ، وكنت أعامل زوجي العجوز بكل رقة ولطف ، فراح يمتدحني ويطري صفاتي ويتحدث عن اخلاصي إلى الأصدقاء والجيران ، حتى استقر في ذهن الجميع ، انني زوجة وفية تحب زوجها وتتفانى في خدمته وارضائه .

وكنت أعد له القهوة بنفسي كل مساء !

وذات ليلة ، وكنا وحدنا ، اعددت له القهوة كالمعتاد ، ووضعت كمية من ذلك السم في قدحه ؟

قـــالت ذلك وتريثت .. وتشاغلت بوضع الخيط في الأبرة

في هــدوء !

لم يكن قد سبق لها أن مثلت دوراً ، ولكنها كانت في تلك اللحظة تضارع أعظم ممثلة وقفت على خشبة المسرح ؟

كانت فعلا تعيش دور القاتلة ذات الضمير الميت والقلب الأصم !

- ٨ -

وطال صمتها ، واحست بعيني زوجها تصمدانها في فضول ، قالت :

وجلست ارقبه ، ومضى كل شيء في هدوء ، شهق شهقـة قصيرة واحدة ، وبدا كأنه يبحث عن الهواء ، ففتحت النـافذة ، وسمعته بعد ذلك يقول أنه لا يستطيع مغادرة مقعده .

ثم اسلم الروح .

وكفت عن الكلام ، وابتسمت ؟

وكانت الساعة قد بلغت التاسعة إلا الربع ، لا شك أن ديك سيصل خلال دقائق .

قال جيرالد :

– وكم كان مبلغ التأمين ؟

– نحو الفين من الجنيهات ، وقد ضاربت به وخسرته ، وعدت إلى عملي القديم في المكتب ، ولكن لم يكن في نيتي البقاء طويلاً .

وبعد بضعة شهور ، قابلت رجلاً آخر أوفر شباباً واكثر مالاً من الزوج الأول ، وكان على جانب كبير من الوسامة ، فعقدنا قراننا في هدوء في مدينة (ساسيكس) ، وحاولت اقناعه بالتأمين على حياته فلم يوافق ،

ولكنه كتب وصية لصلحتي ، وكان يحب القهوة التي أعدها له بنفسي ، تماماً كزوجي الأول .

وابتسمت ، واضافت قائلة ببساطة :

– إنني أصنع قهوة جيدة ؟

وعادت إلى قصتها قائلة :

– وكان لي بعض أصدقاء في القرية التي أقمنا فيها ، فأسفوا لي أشد الأسف حين علموا ان زوجي مات فجأة بهبوط القلب في إحدى الأمسيات عقب تناول طعام العشاء ، ولم اشعر بالارتياح إلى الطبيب الذي فحص الجثة ، ليس لأنه ارتاب فيّ ، وإنما لأنه دهش دهشة بالغة لوفاة زوجي فجأة على هذا النحو .

ولا أدري لماذا عدت بعد ذلك مرة أخرى إلى عملي في المكتب ، واعتقد أنني فعلت ذلك بحكم العادة .. المهم أن زوجي الثاني ترك لي حوالي أربعة آلاف من الجنيهات . فلم أضارب بها هذه المرة ، وإنما استثمرتها ..

وها أنت ترى ..

ولكنها لم تتم عبارتها .. فقد رأت وجه جيرالد مارتن يحتقن بغتة ، وفوجئت به يشير نحوها باصبع الاتهام ويصيح بصوت مختنق :

– القهوة . يا إلهي ! القهوة لقد فهمت الآن لماذا كانت القهوة مرة كالعلقم .. ايتها التعسة ، إنك عدت إلى لعبتك القديمة ووضعت لي السم في القهوة !

وأمسك بحافة مقعده ، وتحفز للوثوب عليها ..

وصاح مرة أخرى :

– إنك وضعت لي السم في القهوة ..

فوثبت اليكس من مقعدهـا ، وتراجعت حتى التصقت بالجدار بجوار المدفأة .

كانت ترتجف ذعراً وهلعاً ، وفتحت فمها لتنفي التهمة عن نفسها ، ثم تريثت ..

إنه يتحفز للوثوب وسينقض عليها بعد لحظة

استجمعت كل قواها ، وقالت وعيناها لا تتحولان عن عينيه :

– نعم .. إنني دسست السم في قهوتـك ، والسم يسري الآن في شرايينك ، إنك لا تستطيع الحراك من مقعدك ، لا تستطيع الحراك من مقعدك ؟

آه .. ليتها فقط تستطيع أن تبقيه حيث هو بضع دقائق أخرى ! ولكن ما هذا ؟

إنها تسمع وقع أقدام في الخارج ، وصرير باب يفتح .

قالت مرة أخرى :

– إنك لا تستطيع الحراك من مقعدك ، لا تستطيع الحراك من مقعدك ؟

ومرت بجواره ، وركضت إلى الخارج ، لتسقط فاقدة الوعي بين ذراعي ديك وندفورد ..

وصاح الشاب في ذهول :

– يا إلهي ! ماذا حدث يا اليكس ..

ثم التفت الى الرجل الذي اقبل معه ، والذي كان يرتدي ثيـاب

الشرطة وقال له :

- ادخل المنزل وانظر ماذا يحدث .

وحمل اليكس ، ومددها على أريكة في الشرفة ، وانحنى فوقها وهو يتمتم قائلا :

- يا فتاتي العزيزة ، ماذا فعلوا بك ايتها المسكينة !

فخفقت أهدابها ، وتحركت شفتاها ، وهتفتا باسمه .

وعاد الشرطي في هذه اللحظة وقال :

- لا يوجد أحد يا سيدي سوى رجل جالس في مقعد ، وعلى وجهه دلائل الفزع ويخيل الي

- ماذا ؟

- يخيل الي أنه ميت .

جريمة على الشاطىء

- ١ -

جلس هركيول بوارو على الرمـال البيضاء وأرسل بصره إلى المياه الزرقاء التي تتألق تحت أشعة الشمس .

كان يرتدي ثياباً بيضاء أنيقة ، ويضع على رأسه قبعـة عريضة ... وكان من الواضح أنه ينتمي إلى الجيل القديم الذي يؤمن بضرورة حجب الجسد عن الشمس ، على عكس الآنسة باميلا ليول التي كانت تجلس إلى يمينه ولا تكف عن الكلام ، فقد كانت تمثل الجيل الجديد الذي يدعو إلى ارتداء أقل قدر من الثياب حتى يتعرض اكبر قدر من بشرة الجسم لأشعة الشمس .

ولم يكن الكلام المتدفق من فم باميلا ليول يتوقف الا ريثما تضمخ هذه الثرثارة جسدها بسائل زيتي من زجاجة بجوارها ..

وإلى يسار بوارو ، كانت سوزان بليك ، صديقـة باميلا الحميمة ، تتمدد على ملشفة كبيرة ووجههـــا إلى الأرض ، وقد لوحت الشمس

بشرتها ، واكسبتها لوناً برونزياً متوازناً ، جعل صديقتها تنظر اليها اكثر من مرة وفي عينيها بريق الغيرة .

قالت باميلا في أسى :

– ما زالت في بشرتي بقع بيضاء كبيرة لم تلوحها أشعة الشمس ، هلا تفضلت بتدليك ضلعي الأيمن بالزيت يا مسيو بوارو ؟ إن يدي لا تستطيع الوصول اليه .

ففعل بوارو ما طلبته ، ثم مسح يده بمنديله بعناية شديدة .

وكانت هواية باميلا ليول الرئيسية في الحياة هي ملاحظة الناس من حولها ، فلم تلبث ان قالت :

– لقد صدق ظني بشأن المرأة التي رأيناهـا أمس .. في ثوب من ابتكار مصمم الأزياء (شانيل) .. إنها فالنتين شانتري بعينهـا ، لقد عرفتها لأول وهلة ، وهي في الحق رائعة ، اليس كذلك ؟ انني لا افهم الآن لماذا يتدله الرجال في حبها ، واكبر الظن انها تتوقع منهم ذلك ، وهذا نصف المعركة ..

أما الزوجان الآخران اللذان قدما إلى الفندق ليلة امس فهما مستر ومسز جولد ، والزوج غاية في الوسامة .

فقالت سوزان بصوت خافت :

– هل قدما لقضاء شهر العسل ؟

– كلا .. إن ثيابهما ليست جديدة .. من السهل جداً معرفـة العرائس من ثيـابهن .. الا ترى يا مسيو بوارو أنه ليس في الدنيـا مـــا هو اكثر إثارة من مراقبة الناس ومعرفة كل شيء عنهن بمجرد

النظر اليهم ؟

فردت سوزان بصوت عذب :

- ليس بمجرد النظر اليهم يا عزيزتي .. انك تلقين ايضاً كثيراً من الأسئلة ؟

فقالت باميلا بانفة وكبرياء :

- إني لم أتحدث قط إلى مسار ومسز جولد ، وعلى كل حال فإني لا أرى ما يمنع الانسان من الاهتمام بأمثاله من الآدميين ، إن الطبيعة البشرية تثير الفضول ، الا تظن ذلك يا مسيو بوارو ؟

فأجاب بوارو دون ان يحول عينه عن الماء :

- ليس دائماً .

- انا لا اعتقد ان هناك ما هو اكثر إثارة وغموضاً من الانسان

- غموض ؟ لا اظن ذلك

- بل ان الانسان مخلوق غامض لا يمكنك ان تسبر غوره ، إنه دائماً يفعل الشيء الذي لا تتوقع ان يفعله ؟

فهز بوارو رأسه واجاب :

- كلا ، كلا .. هذا غير صحيح ، فالانسان قلما يفعل شيئاً ليس من طبعه ؟

فردت باميلا :

- انني لا اقرك على هذا الرأي .

وصمتت لحظة قصيرة قبل أن تبادر للهجوم .

قالت :

- انني لا اكاد ارى الناس حتى أشرع في التساؤل : ترى من هم ؟ وما صلة كل منهم بالآخر ؟ وفيم يفكرون وبماذا يشعرون ، وهذه كلها امور تثير العجب والفضول ؟

فقال بوارو .

- لا أظن ذلك ، إن الطبيعة تكرر نفسهـــا اكثر مما يتصور الانسان ..

ثم اضاف بعد صمت قصير :

- ان البحر اغنى الألوان من الطبيعة البشرية .

فاستدارت سوزان إلى بوارو وسألته :

- هـــل تعتقد ان النوع البشري يتحرك في تفكيره وسلوكه داخل دائرة محدودة ؟

فأجاب بحدة :

- تماماً ..

ثم راح يرسم شيئاً على الرمال ، فسألته باميلا في فضول :

- ماذا ترسم ؟

فرد بوارو :

- ارسم مثلثاً ؟

ولم تسأله باميـلا عما يعني بهذا المثلث ، لأن اهتمامهـا تحول إلى شيء آخر ؟

هتفت تقول :

- ها هي فالنتين شانتري

وأبصروا بامرأة طويلة القامة شديدة الاعتداد بنفسها والاحساس بجمالها تتهادى نحوهم وتحييهم باحناءة من رأسها مقارنة بابتسامة ..

وجلست المرأة على الرمال ، وانزلق على كتفيها الوشاح الحريري القرمزي الموشى بالذهب ، وكشف عن ثوب الاستحمام الأبيض الذي يبرز مفاتن جسدها .

ولم تتمالك باميلا من أن تهتف :

— ما أجمل قوامها !

ولكن بوارو كان ينظر إلى وجه فالنتين شانتري ، لا إلى قوامها وجه امرأة في التاسعة والثلاثين من عمرها ، اشتهرت بجمالها منذ كانت في السادسة عشرة

كان يعرف ، مثل جميع الناس ، كل شيء عن فالنتين شانتري التي اشتهرت باشياء كثيرة : بنزواتها وثروتها الطائلة وعينيها الزرقاوين الواسعتين ..ومغامراتها في الزواج والحب .. فقد تزوجت خمس مرات واتخذت لنفسها من العشاق عدداً لا يمكن حصره . وكان أول أزواجها نبيلاً إيطالياً ، والثاني احد ملوك الفولاذ في امريكا ، والثالث لاعب تنس محترفاً ، والرابع احد هواة سباق السيارات .

ومن هؤلاء الأربعة مات واحد هو الزوج الامريكي ، أما الثلاثة الآخرون فإنها طلقتهم .

وبعد ستة شهور من طلاقها من الزوج الرابع ، تزوجت المرة الخامسة من ضابط في البحرية ، هو ذلك الشخص الصامت العبوس ، البارز الفكين ، الذي اقبل يسعى خلفها ..

والتفتت المرأة الفاتنة اليه قائلة :

— أين علبة سجائري يا عزيزي طوني ؟

فقدم لها العلبة ، وأشعل لها سيجارة ، وساعدها على حل حمالات ثوب الاستحمام ..

وتمددت فالنتين شانتري تحت الشمس ، وبسطت ساعديها فوق الرمال .. بينما جلس طوني بجوارها أشبه بوحش يحرس فريسته .

وقالت باميلا بصوت خافت :

— إنهما يثيران فضولي واهتمامي ، بل وهلعي أيضاً .. فهو أشبه بوحش صامت متحفز ، وأعتقد ان امرأة من طرازها تحب هذا النوع من الرجال .. وأكبر الظن انها تشعر كأنها بسبيل ترويض أحد النمور ، ترى كم سيستمر هذا الزواج ؟ إنها تمل ازواجها بسرعة ، ولكني أعتقد انها إذا حاولت التخلص من هذا الزوج ، فإنه قد يصبح خطراً عليها .

واقبل زوجان آخران يسيران على استحياء .. هما الزوجان اللذان قدما إلى الفندق في الليلة السابقة ، وعرفت باميلا من دفتر النزلاء انهما يدعيان مستر ومسز دغلاس جولد .

كذلك عرفت باميلا من البيانات التي يحتم القانون تسجيلها في دفتر النزلاء ، نقلاً عن جوازات السفر ، أن دغلاس جولد في الحادية والثلاثين من عمره .. وان امرأته ماركوري جولد في الخامسة والثلاثين .

كانت هواية باميلا ، كما قلنا ، هي دراسة طبائع الناس ، وكانت لها

الجرأة ، خلافاً لغالبية الانجليز ، على التحدث إلى الغرباء بمجرد أن يقع بصرها عليهم .. دون ان تدع اربعة او خمسة ايام تمر قبل ان تبادر بالحديث كما هي عادة الانجليز ، ولذلك فإنها لم تكد تلاحظ خجل مسز جولد وترددها حتى ابتدرتها قائلة :

– طاب صباحك ! انه يوم جميل ، اليس كذلك ؟

. كانت مسز جولد امرأة صغيرة الحجم ، اشبه بالفأر ، ولم تكن دميمة .. بل على العكس ، كانت قسمات وجهها دقيقة ومنتظمة ، وبشرتها صافية جميلة .. ولكن شيئاً فيها كان يوحي بأنها شديدة الخجل والانطواء على نفسها ، ويدعو إلى تجاوزها وعدم الالتفات اليها .. أما زوجها فكان وسيماً للغاية ، على نحو لا يرى ، إلا على خشبة المسرح .

كان طويل القامة عريض الكتفين ، ذا شعر ذهبي مجعد وعينين زرقاوين صافيتين ، ولكن الانطباع بأنه أشبه بأبطال المسرحيات منه بشاب عادي كان يتلاشى حالما يفتح فمه ويتكلم .. ذلك أن لهجته وصوته وطريقته في الحديث ، كانت توحي بأنه انسان بسيط ، بل وانسان على شيء من الغباء .

ونظرت مـاركوري جولد إلى باميلا شاكرة وقعدت على مقربة منها ، وقالت :

– ما أجمل لون بشرتك البرونزي !

فتنهدت باميلا وقالت :

– ليس أشق من الحصول على بشرة برونزية متوازنة .. انكما وصلتما

حديثاً .. اليس كذلك ؟

– نعم ، وصلنا ليلة أمس بالباخرة الايطالية .

– هل زرتما رودس قبل هذه المرة ؟

– كلا ، إنها جزيرة جميلة اليس كذلك ؟

وقال زوجها :

– مما يؤسف له أنها بعيدة كثيراً عن انجلترا ..

– نعم .. ليتها كانت أقرب ؟

فقالت سوزان :

– لو كانت أقرب لامتلأت بالمصطافين ، ولغصت شواطئها بالأجساد .

فقال دغلاس جولد :

– هذا صحيح ، ولكن مما يبعث على الضيق أن سعر النقد الايطالي مرتفع كثيراً هذه الأيام .

– لا بد أن يكون لذلك تأثيره على حركة السياحة في هـــذه الجزيرة ..

وعلى بعد خطوات تنهدت فالنتين شانتري واعتدلت جالسة وأصلحت من وضع ثوب الاستحمام على صدرها ، ثم تثاءبت في رقة كما تتثـاءب القطة وأرسلت بصرها إلى الشاطيء ، واستقرت عيناهـــا لحظة على رأس دغلاس جولد الذهبي ..

وبعد قليل ، قالت بصوت أعلى قليلاً مما ينبغي :

– ما أروع الشمس يا عزيزي طوني .. لا بد انني كنت في وقت ما من عباد الشمس ..

فتمتم زوجها بكلمات لم يسمعها الآخرون ، واستطردت فالنتين شانتري تقول بنفس الصوت المرتفع :

— هلا اصلحت من وضع المظلة على الرمال أيها العزيز ؟

كان واضحاً أنها تعنى أشد العناية بوضع جسمها الجميل ..

وكان دغلاس جولد قد بدأ ينظر اليها وفي عينيه اهتمام واضح ، بينما قالت زوجته تحدث باميلا بصوت خافت :

— يا لها من امرأة فاتنة !

وكانت باميلا تجد في إذاعة الأنباء نفس اللذة التي تجدها في سماعها فقالت بصوت خافت :

— إنها فالنتين شانتري ، رائعة الجمال .. اليس كذلك ؟ وزوجها مفتون بها ولا يدعها تغيب عن عينه لحظة واحدة .

وهنا نظرت ماركوري جولد إلى البحر مرة أخرى وقالت :

— إن البحر جميل حقاً وشديد الزرقة ، وأظن أنه يحسن بنا أن نسبح قليلاً ، ما رأيك يا دغلاس ؟

ولكن دغلاس كان في شغل عنها بالنظر إلى فالنتين شانتري .. ومرت دقيقة أو دقيقتان قبل ان يجيبها وهو شارد الذهن :

— نسبح قليلاً ؟ آه .. نعم ، صبراً لحظة .

فنهضت ماركوري واقفة وسارت حتى اقتربت من حافة الماء .

واستلقت فالنتين على جنبها ، ولم تحول عينيها عن دغلاس جولد ، وارتسمت على شفتيها ابتسامة ، فاحمر وجه دغلاس وانتشر الاحمرار حتى شمل عنقه .

وقالت فالنتين في دلال :

- طوني .. يا حبيبي .. هلا جئتني بعلبة الدهون ! إنهـا على مائدة الزينة ، وكنت أريد أن أحضرها معي ..

- يا لك من ملاك كريم !

فأطاع الكابتن شانتاري ونهض واقفاً ، وسار في اتجاه الفندق ، بينما القت ماركوري بنفسها في الماء وصاحت :

- هلو ؟

والتفتت باميلا إلى دغلاس وسألته :

- ألا تريد أن تسبح ؟

فقال بشيء من الغموض :

- أريد ان استمتع بالشمس اولاً .

وتحركت فالنتين في مكانها ، ورفعت رأسها وكأنها تريد استدعـــاء زوجها ، ولكنه كان ابتعد ووصل إلى حديقة الفندق .

وقال دغلاس :

- أريد أن تكون السباحة .. آخر شيء أفعله قبل العودة إلى الفندق .

واعتدلت فالنتين جالسة مرة أخرى ، وتناولت قنينـة زيت مما يستخدم في مسح الجسد بعد الاستحمام .

ويبدو انها وجدت صعوبة في فتحها ..

فقالت بصوت مرتفع :

- يا إلهي .. انني لا أستطيع فتح هذه القنينة !

ونظرت نحو بوارو وجماعته .. ونهض بوارو واقفاً على الفور .
ولكن دغلاس جولد ، بشبابه وحيويته ، كان أسرع منه إلى المرأة الفاتنة ..

قال :
– هل تسمحين لي بفتحها ؟
فقالت بصوت رخيم ، وبكل دلال :
– آه .. شكراً لك ، إنك انسان كريم .. من عجب انني افشل دائماً في نزع سدادات هذه القناني .. آه ، ارى انك فتحتها ، شكراً لك والف شكر .

ورأى بوارو كل ذلك وابتسم ..
ثم نهض من مكانه .. وراح يمشي الهوينــا على الشاطىء ..
ولم يبتعد كثيراً ، وحين هم بالعودة ، رأى مـاركوري تخرج من البحر وتلحق به .
كانت قد سبحت طويلاً ، وكان وجهها يتألق تحت قلنسوتها الحمراء العتيقة الطراز .
قالت وهي تلهث :
– انني أحب البحر .. خـــاصة متى كان هادئاً ودافئاً .. كما هو هنا ..

ولاحظ بوارو انها تهوى السباحة حقاً ..
قالت :
– إنني ودغلاس نحب السباحة بجنون .. ودغلاس يستطيع البقاء في

الماء ساعات طوالاً .

فنظر بوارو من فوق كتفها إلى حيث كان دغلاس جولد ، ذلك السباح المتحمس ، جالساً يتحدث إلى فالنتين شانتري ؟

قالت ماركوري جولد :

— إنني لا أعرف لماذا لم ينزل إلى الماء .

كان في صوتها شيء من حيرة الأطفال .. فنظر بوارو نحو فالنتين شانتري وقال يحدث نفسه : ترى كم من الزوجات اللذين على انفسهن مثل هذا السؤال في وقت ما ؟

وتنهدت ماركوري ، وقالت في هدوء :

— المفروض أنها امرأة جذابة ، ذات فتنة طاغية ، ولكن دغلاس لا يحب هذا النوع من النساء !

فصمت بوارو ولم يجب ، وعادت ماركوري جولد إلى البحر والقت بنفسها في أحضانه ، وراحت تسبح ببطء وثبات مبتعدة عن الشاطيء .

كان من الواضح أنها تحب الماء ؟

وعاد بوارو ادراجه إلى حيث كانت الجماعة ، فوجد أنها قد زادت واحداً بقدوم الجنرال بارنز العجوز الذي كان يرى دائماً في صحبة الشباب .. وكان حينئذ يجلس بين باميلا وسوزان ، ويتبادل مع الأولى آخر أنباء الفضائح .

وكان الكابتن شانتري قد عاد من مهمته وجلس مع دغلاس على جانبي فالنتين .. وقد راحت هذه الأخيرة .. تتحدث اليهما بصوتها

العذب الرقيق . وتوجه حديثها إلى أحدهما تارة .. وإلى الآخر تارة أخرى .

كانت تروي لهما إحدى الطرائف التي مرت بها ..

وختمته روايتها بقولها :

— فهل تعرف ماذا قال هذا الشخص الطيب ؟

لقد قال لي : « إنني رأيتك لمدة دقيقة واحدة ، ولكني اتذكرك جيداً ، وأستطيع أن أعرفك في أي مكان » .. ألم يقل ذلك يا طوني ؟ كان جميلاً منه أن يقول هذا الكلام . إن الناس جميعاً يحبونني ويعطفون عليّ ، ولست أدري لماذا ؟

على انني قلت لطوني : إذا كان من حقك أن تغار يا طوني .. فيجب ان تشعر بالغيرة من هذا الموظف اللطيف ، لأن دماثة خلقه ونبل مشاعره يدعوان إلى حبه ..

فقال دغلاس :

— إن بعض رجال الجمارك على قدر عظيم من الكرم ودماثة الخلق .

— هذا صحيح ، ولكن ذلك الموظف بالذات قد تكبد كثيراً من المتاعب من أجلي ، وأسعده أن يمد اليّ يد المساعدة .

فقال دغلاس :

— لا غرابة في ذلك .. وأنا واثق أن كل انسان يسعده أن يمد اليك يد المساعدة .

فصاحت فالنتين :

– ما أظرفك ! هل سمعت ماذا قال يا طوني ؟

فزمجر الكابتن شانلري ولم يجب ..

وتنهدت زوجته وقالت :

– إن طوني لا يقول لي أبداً مثل هذا الكلام اللطيف ؟

ومدت يدها البيضاء بأظافرها الحمراء الطويلة وراحت تعبث بشعر رأسه الأسود ، ولكنه رمقها فجأة بنظرة صارمة ، فقالت :

– الواقع أن سمة صدره تذهلني ، فإنه يتركني أتكلم واتكلم ، ويصغي اليّ دون أن ينطق ببنت شفة ، وكأنه لا يسمع شيئاً مما أقول ، لا أحد يعبأ بما أقول او افعل ، الجميع يدللونني ..

وهنا نظر الكابتن شانلري إلى دغلاس وسأل :

– أهذه زوجتك التي تسبح في البحر !

– نعم .. وأظن أنه يجب أن الحق بها ..

فقالت فالنتين :

– الجلوس هنا في الشمس أجمل من السباحة ، انني لا أنوي السباحة اليوم يا عزيزي طوني .. لأنني أخشى أن أصاب ببرد .. ولكن لماذا لا تسبح أنت يا طوني .. اذهب أنت ، وسيبقى مستر جولد معي إلى أن تعود .

فعبس شانلري وقال :

– كلا .. شكراً لك ، سأسبح فيما بعد ، يخيل الي أن زوجتك تلوح لك بيدها يا مستر جولد .

فقالت فالنتين :

— إنها تجيد السباحة ، انا واثقة من انها من اولئك النساء المقتدرات اللاتي يجدن عمل كل شيء ، انهن يخفنني .. وأشعر بأنهن يحتقرنني ، لأني لا أجيد عمل أي شيء ، اليس كذلك يا عزيزي طوني ؟

ولكن الكابتن لاذ بالصمت ..

فقالت فالنتين :

— إن كرم خلقك يأبى عليك الاعتراف بهذه الحقيقة ، اني أحب الرجال لاخلاصهم ، انهم اكثر اخلاصاً من النساء ، وفي اعتقادي أن النساء حقودات وتافهات .

وهنا همست سوزان وهي تصرف بأسنانها :

— ما أشد غباء هذه المرأة !. إنها أغبى امرأة رأيتها ، إن كل ما تستطيعه هو أن تقول : (أيها العزيز طوني) .. ثم تجيــل عينيها يميناً ويساراً ، كمن يريد أن يلفت اليه الأنظار ويقول (هأنذا) .. ألا تستطيع أن تترك الرجال وشأنهم ؟ إن زوجهــا يبدو كمن يوشك ان ينفجر ؟

فنظر بوارو إلى البحر وقال :

— إن مسز جولد تجيد السباحة .

فقالت سوزان :

— نعم .. وهي ليست مثلنـــا .. نحن اللائي يضايقنا أن نشعر بالبلل .. أظن أن فالنتين شانتري ان تنزل إلى الماء طوال إقامتها هنا ؟

فقال الجنرال بارنز :

– لا أظنها ستفعل ، فهي تخشى أن يمحو الماء ماكياجها ، ولكن ذلك لا يمنع من الاعتراف بأنها امرأة فاتنة .

فقالت سوزان في خبث :

– إنهـــا تنظر نحوك يا جـنرال ! . ثم انك مخطيء بشأن الماكياج .. فنحن جميعاً نستخدم من مواد الماكياج ما لا يمحوه الماء أو القبلات .

وقالت باميلا :

– ها هي مسز جولد مقبلة نحونا .

وكانت ماركوري قد خرجت لتوها من الماء ..

كان قوامها جميلاً ، ولكن قلنسوتهـــا العتيقة كانت خليقة بأن تفسد منظرها .

قالت تحدث زوجها في شيء من الضيق ونفوذ الصبر :

– ألا تأتي يا دغلاس ؟ إن البحر دافيء وجميل !

فقال دغلاس :

– حسناً ..

ونهض بسرعة .. وتريث لحظة قبل ان يمضي معها .

وفي هذه اللحظة ، رفعت اليه فالنتين عينيها ، وقالت وعلى شفتيها ابتسامة عذبة :

– الى اللقاء !

وانطلق دغلاس وزوجته يعدوان على الشاطيء ، وما ان ابتعـدا

حتى قالت باميلا :

– لم يكن من الحكمة ان تفعل مسز جولد مـا فعلت ، اذ انتزاع الزوج من امرأة أخرى سياسة خاطئة ، توحي بأنها امرأة مسيطرة ، وذلك ما يمقته الأزواج .

فقال الجنرال بارنز :

– يخيل اليّ انك تعرفين الكثير عن الأزواج يا مس باميلا .

فردت مس باميلا :

– ازواج الأخريات .. لا أزواجي .

فقالت سوزان :

– مهما يكن من أمر ، فإني لا ارضى على رأسي قلنسوة كقلنسوتها ، ولو أعطيت ملايين روكفلر ؟

فقال الجنرال :

– لا بأس بالقلنسوة ، ولا بأس بصاحبتها ، إنها تبدو لي في مجموعها امرأة متزنة معقولة .

فقالت سوزان :

– ولكن هناك حدود لاتزان المرأة المتزنة يا جنرال ، واني اشعر بأنها لن تحتفظ باتزانها طويلاً ، مع وجود فالنتين شانتري .

ثم حولت رأسها وقالت بصوت خافت مفعم بالانفعال :

– انظر الى زوجها ، ان في أعماقه عاصفة تبدو آثارها على وجهه ، يخيل الي انه شخص مخيف ، شديد الخطورة .

والواقع ان شانتري كان يشيع دغلاس جولد وامرأته بنظرة تنم عن

البغض الشديد ..

فتحولت سوزان إلى بوارو وقالت :

— ما رأيك في كل هذا يا مسيو بوارو ؟

فلم يجبها بوارو ، واكتفى بأن خط باصبعه على الرمال نفس الرسم ، رسم المثلث .

فتمتمت سوزان قائلة :

— (المثلث الخالد) الزوج والزوجة والعشيق ، ربما كنت على حق يا مسيو بوارو ، فإذا صح ذلك فإننـــا سوف نقضي في الأسابيع القليلة القادمة وقتاً حافلاً بالاثارة .

- ٢ -

خاب أمل بوارو في جزيرة (رودس) .. فقد أقبل الى الجزيرة طلباً للراحة ، وللحصول على اجازة من الجريمة ..

وقد قيل له فيما قيل عن الجزيرة انها ستكون في شهر اكتوبر منطقة هادئة تكاد تكون خالية تماماً من المصطافين والسائحين ، وكان ذلك صحيحاً ، اذ لم يكن هناك من النزلاء احد سواه ، هو وآل شانتري ، وآل جولد ، وباميلا وسوزان والجنرال وأسرتان ايطاليتان أخريان .

ولكن في هذه الدائرة المحدودة من الأشخاص استطاع بوارو بذكائه ان يتصور شكل الأحداث التي ستتمخض عنها المستقبل .

قال لنفسه يؤنبها :

— لا بد انني مصاب بعسر الهضم مما يجعلني اتصور اموراً لا وجود لها .

وذات صباح ، هبط من غرفته ليجد مسز جولد تعمل بابرتها في شرفة الفندق .. ولما اقترب منها خيل اليه انه رآها تخفي منديلها بسرعة ..

كانت عيناها جافتين ، ولكن كان فيهما بريق يثير الريبة .

وحين سمع صوتها ، احس على الفور بأنها تصطنع المرح .

هتفت قائلة :

— طاب صباحك يا مسيو بوارو .

وشعر بأنها لا يمكن أن تكون سعيدة برؤيته إلى هذا الحد ، سيما وأنها لم تكن تعرفه حق المعرفة ..

وعلى الرغم من غرور بوارو الشديد فيما يختص بمهنته ، فإنه كان كثير التواضع في تقدير جاذبيته الشخصية .

قال :

— طاب صباحك يا سيدتي ، هذا يوم جميل آخر .

— أليس ذلك من حسن الحظ ؟ إن التوفيق يحالفني دائماً انا ودغلاس فيما يتعلق بالطقس .

— أحقاً ؟

— نعم .. والواقع أننا سعداء الحظ معاً ، وكلما رأى الانسان متاعب الآخرين وتعاستهم ، وقضايا الطلاق بينهم ، حمد الله على سعادته وهنائه .

— يسرني أن أسمعك تقولين ذلك يا سيدتي .

— نعم .. انني ودغلاس سعيدان إلى اقصى حد ، لقد تزوجنا منذ خمس سنوات ، ورغم ان خمس سنوات تبدو مدة طويلة في هذه الأيام .. فإنني !

فقاطعها بوارو قائلاً بشيء من الجفاء :

— لا شك عندي في أنها في بعض الحالات تبدو وكأنها الأبدية !

— انني أعتقد أننا الآن أسعد مما كنــا في بداية حياتنا الزوجية ، إن كلا منا يلائم الآخر تماماً .

— هذا أهم شيء في الحياة الزوجية بطبيعة الحال .

— وهــذا هو السبب في انني أرثي من كل قلبي لأولئك الذين لم تتحقق لهم السعادة .

— هل تعنين ؟

— انني اتكلم بصفة عامة يا مسيو بوارو .

والقت نظرة على ما أنجزته بابرتها ثم استطردت قائلة :

— اليك مثلاً فالنتين شانتري .

— نعم .. ماذا عن فالنتين شانتري ؟

— أنا لا أظن انها امرأة لطيفة ..

— ربما كنت على حق !

— الواقع أنني على يقين من أنها ليست امرأة لطيفة ، ولكن الانسان لا يسعه إلا أن يرثي لها ، ذلك أنها رغم ثرائها الفاحش وفتنتها الطاغية وما إلى ذلك ، فإنها ..

وهنا لاحظ بوارو أن أصابعها ترتجف ، واستطردت ماركوري في حديثها قائلة :

— فإنها ليست المرأة التي يحرص الرجل على البقاء معها ، أو بمعنى آخر ، انهــا من الطراز الذي يتعب منه الرجل بسرعة ، ويسعى إلى التخلص منه .. ما رأيك أنت يا مسيو بوارو ؟

فرد في حذر :

- أنا شخصيا لا أطيق سماع حديثها اكثر من بضع دقائق !

- لا أنكر أن لها جاذبية خاصة ؟

وصمتت قليلا ، ثم قالت :

- حقا إن الرجال كالأطفال .. إنهم يصدقون كل شيء .

وهنا رأى بوارو ان من الأفضل ان يغير مجرى الحديث فقال :

- ألا تسبحين اليوم ؟ وزوجك .. هل ذهب إلى الشاطىء ؟

فرفعت ماركوري رأسها بشيء من التحدي ، وقالت وهي تصطنع المرح مرة أخرى :

- كلا .. لقد اتفقنا على القيام بجولة في المدينة لزيارة معالمها القديمة .. ولكني ابطأت قليلا في ارتداء ثيابي .. فذهبوا بدوني .

وهم بوارو بأن يلقي سؤالا ، ولكنه فوجىء بقدوم الجنرال بارنز من الشاطىء .. ورآه يلقي بنفسه في أحد المقاعد وهو يلهث .

قال الجنرال :

- طاب صباحك يا مسز جولد .. طاب صباحك يا مسيو بوارو .. انكما تخلفتما اليوم عن القدوم إلى الشاطىء ، وتخلف معكما الكثيرون ، تخلف مستر جولد ، وفالنتين شانتري .. و ..

فسأله بوارو بقلة اكتراث :

- والكابتن شانتري ؟

فقال الجنرال وهو يضحك :

- كلا .. إنه على الشاطىء مع باميلا التي تجاذبه أطراف الحديث وتحاول أن تخرجه من صمته .

فقالت ماركوري :

– إن هذا الرجل يخيفني .. إنه عابس ومتجهم بصفة دائمة ، ويخيل للناظر اليه أنه سيقدم على ارتكاب جريمة .

فقال الجنرال في مرح :

– ان عسر الهضم هو أهم أسبـــاب توتر الأعصاب وسورات الغضب !

فارتسمت على شفتي ماركوري ابتسامة مهذبة ولم تجب ؟

وسألها الجنرال :

– وأين زوجك يا مسز جولد ؟

– دغلاس ؟ اعتقد أنه ذهب مع مسز شانتري لزيارة معـــالم المدينة .

– إنها معالم جديرة بالزيارة ، وكان ينبغي ان تذهبي معهما .

– الواقع اني أبطأت كثيراً في ارتداء ثيابي !

قالت ذلك ، ونهضت فجأة ، وتمتمت بكلمـة اعتذار ، ودخلت الفندق .

وشيعهـا الجنرال بنظرة تنم عن القلق .. وقـال وهو يهز رأسه في أسى :

– امرأة صغيرة لطيفة تساوي عشرات من أمثـال تلك الدميـة الملونة التي لا أريد أن أذكر اسمها ، وزوجها شاب احمق لا يدري ما هو فاعل !

ونهض بدوره ودخل الفندق .

وكانت سوزان بليك قد قدمت لتوهـا من الشاطىء وسمعت آخر عبارة تفوه بها الجنرال ، فتهالكت على أحد المقاعد ، وقـالت وهي تشيع الجنرال بنظرة ساخرة :

– امرأة صغيرة لطيفة حقاً ! إن الرجـال لا يكفون عن اطراء فضليات النساء ، ولكنهم يتراموں تحت أقدام الدمى الملونة ، أمر محزن ، اليس كذلك ؟ ولكنه الواقع .

فقال بوارو بصوت خشن :

– يا آنسة .. كل هذا الذي يحدث هنا لا يعجبني .

– ولا يعجبني انا ايضاً .. ولكن لا .. دعنا نكن صادقين ، أظن ان ما يحدث هنـــا يعجبني ويثير فضولي ، ان في طبيعة كل انسان ناحية مزعجة بتهجمه الكوارث العـامة والحوادث المؤلمة التي تقع لاصدقائه .

فسألها بوارو :

– أين الكابتن شانتري ؟

– على الشاطىء مع باميلا ، التي حاولت عبثـــاً ان ترفه عنه ، كان يرغي ويزبد حينما غادرته منذ قليل ، واكبر الظن اننا سنشهـد أحداثاً جساماً ؟

– هنالك شيء لا أفهمه ..

– من السهل أن تفهمه ، ولكن المسألة هي : مـــاذا سوف يحدث ؟

- صدقت يا آنسة ، المستقبل هو الذي يثير القلق ؟

- يا له من تعبير ذكي ..

وحين همت بدخول الفندق ، كادت ان تصطدم بدغلاس جولد .. الذي كان يبدو راضياً عن نفسه وان كان يشعر ببعض الخزي .

هتف قائلا ،

- طاب يومك يا مسيو بوارو ، انني ذهبت مع مسز شانتري لزيارة الأسوار القديمة التي يعود تاريخها الى عهد الحروب الصليبية ، ولم تشعر ماركوري برغبة في مرافقتنا .

فارتفع حاجب بوارو قليـــلا ، ولكنه لم يعقب على كلام دغلاس جولد ، ولم يكن في استطـــاعته ان يفعل ، حتى لو اراد ، ذلك لأن فالنتين شانتري اقبلت عليهما كالريح وهي تصيح بصوت مرتفع :

- أريد قدحاً من الويسكي يا دغلاس .. انني أكاد أموت ظمأ .

فأسرع دغلاس لتلبية طلبها .. وتهالكت فـــالنتين على مقعد بجوار بوارو ..

كانت موردة الوجنتين .. متـــألقة العينين ، وتبدو في أحسن حـــالاتها ..

ورأت زوجها وباميلا مقبلين من الشاطىء ، فلوحت بيدها وصاحت بصوت مرتفع :

- هل استمتعت بالاستحمام يا عزيزي طوني ؟

فلم يجبها الكابتن شانتري ، ومر بها ، دون أن ينظر او يتحدث

اليها ، وقصد إلى البار .

وبهتت فالنتين وشعرت بالخذلان وتمتمت قائلة .

– يا إلهي، ماذا به؟

أما باميلا .. فإن وجهها كان يعبر بصدق عن سرورها بهذا الموقف ..

قالت وهي تجلس بجوار فالنتين :

– هل استمتعت بالرحلة إلى الأسوار القديمة ؟

ولم ينتظر بوارو حتى يسمع جواب فالنتين ، ونهض واقفاً ، وقصد بدوره إلى (البار) .

وهناك التقى دغلاس جولد في انتظار اعداد قدح الويسكي الذي طلبته فالنتين .

قال الشاب لبوارو :

– هذا شخص فظ !

وأومأ برأسه نحو الكابتن شانتري .

فقال بوارو :

– ربما .. ولكن لا تنس إن النساء يحببن الشخص الفظ ..

– أكبر الظن أنه يسيء معاملتها ..

– لعلها تحب ذلك أيضاً .

فرمقه دغلاس بنظرة تنم عن الحيرة . ثم تناول قدح الويسكي وخرج .

أما بوارو فإنه جلس على أحد المقاعد وطلب قدحاً من عصير

الفواكه وراح يرتشفه ببطء ولذة ، بينما كان الكابتن شانتري يحتسي أقداح الويسكي الواحد تلو الآخر بسرعة عجيبة .

وفجأة .. صاح الكابتن بعنف ، وكأنه يتحدث الى الدنيا كلها وليس إلى بوارو وحده :

ـ تخطىء فالنتين إذا ظنت ان في استطاعتها التخلص مني بسهولة كما تخلصت من المغفلين الآخرين .

إنها لي وسأحتفظ بها ، ولن يصل اليها أحد إلا فوق جثتي .

قال ذلك ودار على عقبيه وغادر المكان .

- ٣ -

بعد ثلاثة أيام ، قصد بوارو إلى قمة الجبل في الجزيرة يطلقون عليه إسم (جبل الرسول) ، واستقل لذلك سيارة انطلقت به في طريق دائري يتدرج في الصعود ، وتحف به الأشجار المورقة ، إلى أن توقفت في النهاية أمام مطعم في القمة !

وغادر بوارو السيارة ، وتوغل في الغابة ، وتابع السير حتى وصل إلى بقعة خيل اليه أنها قمة العالم حقاً .

ونظر إلى أسفل ، ورأى البحر بزرقته القاتمة وأمواجه المتلاطمة ، وأحس براحة نفسية لم يشعر بمثلها منذ قدم إلى الجزيرة ، راحة من الناس والمتاعب ..

خلع معطفه وطواه بعناية ، ووضعه تحت جذع شجرة .. وقعد .

ولكن لم تمض بضع دقائق حتى رأى امرأة ضئيلة الجسم ترتدي معطفاً رمادياً تهرول نحوه .

كانت هذه المرأة هي ماركوري جولد ، ولكنها في هذه المرة لم

تحاول التظاهر بغير الحقيقة وتركت الدموع تبلل وجهها .

ولم يستطع بوارو الافلات منها ، لأنها وصلت اليه قبل أن يتمكن من مغادرة مكانه .

هتفت تقول :

– مسيو بوارو . ارجوك ان تساعدني ، انني امرأة شقية ولا أعرف ماذا يجب ان أفعل .. يا إلهي ! ماذا أفعل ؟ ماذا افعل ؟

ورفعت اليه وجهاً ارتسم عليه الأسى بكل معانيه ، ومدت يدها وأمسكت بساعده كالغريق الذي يتعلق بقشة ..

ولكنها رأت في وجهه شيئاً فتركت ساعده .. وتراجعت قليلاً ، وغمغمت قائلة :

– ماذا ؟ ماذا بك ؟

قال بوارو :

– هل تريدين نصيحتي يا سيدتي ؟ أهذا ما اقبلت من أجله ؟

فقالت بلسان متلعثم :

– نعم .. نعم ؟

فقال بايجاز :

– حسناً .. اليك نصيحتي ، غادري هذه الجزيرة فوراً ، وقبل فوات الأوان !

فهتفت وهي تحملق به في ذهول :

– ماذا ؟

– هذه هي نصيحتي !

فسألته بجزع :

— ولكن لماذا ؟ لماذا ؟

رد بوارو بهدوء :

— هذه هي نصيحتي لك ، إذا كنت تقيمين وزناً لحياتك !

— ماذا تعني ؟ إنك تخيفني ؟ إنك تروعني ؟

فقال بلهجة صارمة :

— نعم .. لقد أردت ان أروعك !

فدفنت وجهها بين كفيها وصاحت في أسى بالغ :

— ولكني لا استطيع .. إنه ان يوافق ، أعني دغـــلاس ، تلك المرأة لن تدعه يرحل ، لقد سيطرت عليه روحاً وجسداً ، وهو يرفض الاصغاء إلى اية حكة ضدها ، انه مفتون بها ؟ ويصدق كل مـــا تقوله له عن سوء معاملة زوجها لها ، وعن براءتها من كل ما ينسبونه لهـــا ، وانها لم تجد قط من يفهمها .

أما هو ، فقد كف حتى عن مجرد التفكير فيّ ، لقـــد اسقطني من حسابه تمـــاماً كأنني لا وجود لي ، وهو يريدني أن أطلقـــه وامنحه حريته ، ويعتقد انها ستطلق زوجها وتقترن به ، ولكني خـــائفة ، إن شانتري ان يتركها ، انه ليس ذلك الطراز من الرجال ..

وأمس كشفت تلك المرأة لزوجي عن كدمات في ذراعهـــا ، وقالت ان زوجهـــا ضربها وأساء معاملتها ، فجن جنونـــه ، إنه انسان شهم .. يا إلهي ! كيف سينتهي هذا كله ، انني خائفة ، ارشدني ماذا

يجب ان افعل .

فقال بوارو دون أن يحول عينيه عن ماء البحر :

ـ لقد قلت لك ، غادري هذه الجزيرة قبل فوات الأوان ؟

ولكنها هزت رأسها وصاحت :

ـ لا أستطيع .. لا أستطيع ، إلا إذا وافق دغلاس .

فتنهد بوارو وهز كتفيه ..

- ٤ -

هركيول بوارو يجلس مع باميلا ليول على الشاطىء.. حين قالت هذه الأخيرة :

- إن المثلث الأبدي يزداد قوة ، لقد رأيتهم ليلة أمس ، كان أحد الرجلين يجلس إلى يمينها والآخر إلى يسارها ، وكل منهما ينظر إلى الآخر وشرر الغضب يتطاير من عينيه .. وقد أسرف شانتري في الشراب ، وكان واضحاً أنه يتحرش بدغلاس جولد ويحاول إهانته ، ولكن سلوك جولد كان مهذباً وسليماً ، وطبيعي أن فالنتين كانت تستمتع بما يجري حولها ، ماذا تظنه سيحدث ؟

فهز بوارو رأسه ببطء وقال :

- انني مشفق ، مشفق كثيراً وخائف ؟

- هذا شعورنا جميعاً ..

ثم استطرد بعد صمت قصير :

- يخيل اليّ أن هذه القضية من صميم اختصاصك ، أو أنها قد تصبح من صميم اختصاصك .. أفلا تستطيع أن تفعل شيئاً ؟

- اني فعلت ما استطعت .

فسألته باهتمام :

– ماذا فعلت ؟

– نصحت مسز جولد بمغادرة الجزيرة قبل فوات الأوان .

فقالت ببطء :

– أتظن إذاً أن هذا ما سيحدث ؟ ولكنه شخص لطيف ولا أظنه يقدم على أمر كهذا .. إن الذنب كله ذنب تلك المرأة فالنتين ، ولكني لا أعتقد أن الأمر يمكن أن يتطور إلى ..

وصمتت لحظة ثم استطردت قائلة بصوت خافت :

– إلى جريمة قتل ، أليست (الجريمة) هي ما يدور بخلدك ؟

– إنها بخلد أحد الناس يا آنسة ، أنا واثق من ذلك .

مرت بجسد باميلا رعدة ، وتمتمت قائلة :

– أنا لا أظن ذلك ..

- ٥ -

كانت الأحداث التي تلاحقت في ليلة ٢٩ اكتوبر سريعة وواضحة .

وقد بدأت بمشاجرة بين الرجلين .. جولد وشاناري ، ارتفع خلالها صوت شاناري بالتدريج حتى وصلت آخر عباراته إلى آذان أربعة أشخاص هم : مدير الفندق والصراف والجنرال بارنز وباميلا ليول .

كان يصيح بجولد قائلاً :

— ايها الخنزير القذر ، اذا كنت أنت وزوجتي تظنـــان انكما تستطيعان خداعي فأنتما واهمان .. ان فلنتين ستظل امرأتي مـا دمت على قيد الحياة ؟

واندفع الى خارج الفندق ووجهه محتقن غضباً .

حدث ذلك قبل العشاء ..

وبعد العشاء .. تم الصلح بينهما ، ولا يعلم أحد كيف تم .. ودعت فالنتين السيدة ماركوري الى نزهـة بالسيارة في ضوء القمر ، وذهبت باميلا وسوزان معهما .

أما جولد وشاناري ، فإنهما تخلفا في الفندق ليلعبا (البلياردو) ،

وبعد ذلك لحقا بمسيو بوارو والجنرال بارنز في بهو الفندق .

ولأول مرة .. كان شانتري مرحاً مبتسماً .. وعلى وجهه دلائل الارتياح ..

سألهما الجنرال :

– هل استمتعتما بالصيد ؟

فقال شانتري وهو يومىء برأسه نحو دغلاس :

– هذا الشاب أمهر مني كثيراً .

فقال دغلاس في تواضع :

– كان مجرد حظ .. مـــاذا تشربون ، انني سأنطلق في البحث عن الخادم .

فقال شانتري :

– قدح ويسكي ولك الشكر ..

– وأنت يا جنرال ؟

– نفس الشيء !

– وأنا أيضاً اريد قدح ويسكي ، وانت يا مسيو بوارو ؟

– عصير فاكهة اذا تفضلت .

وانطلق دغلاس ليأمر باحضار الشراب ، بينما تهالك شانتري عـلى أحد المقاعد ..

وعلى الرغم من ان شانتري لم يكن شخص مجتمع ، او محـدثـاً لبقـاً ، فـإنه يبذل قصارى جهده كي يقف على قدم المساواة مـع الآخرين .

قال :

– أليس عجيباً أن يتعود الانسان بمثل هذه السرعة على الحياة بغير صحف ؟

فقال الجنرال :

– وما قيمة الصحف إذا كانت ترد بعد أربعة أيام من صدورها .

– هل تعتقد ان الحكومة ستحل البرلمان وتجري انتخابات جديدة بسبب المشكلة الفلسطينية ؟

فقال الجنرال :

– لا شك أن الحكومة تخبطت في معالجة هذه المشكلة ، ولكنني لا اظن أنها ستحل مجلس النواب ؟

وفي هذه اللحظة ، عاد دغلاس جولد وخلفه خادم يحمل أقداح الشراب ..

وراح الجنرال يسرد بعض الطرائف عن فترة عمله في الهند وأصغى اليه الآخرون في أدب ، ولكن بغير اهتمام .

وقبل أن يفرغ من حديثه ، عادت النساء الأربع من نزهتهن في ضوء القمر وهن يتحدثن ويضحكن ، وتبدو عليهن دلائل السرور والانتعاش .

وصاحت فالنتين وهي تتهالك على مقعد بجوار زوجها :

– طوني ، يا حبيبي .. لقد كانت نزهة موفقة إلى اقصى حد ، والفضل في ذلك للعزيزة مسز جولد ، صاحبة الفكرة ، كان يحسن بكم جميعاً أن تأتوا معنا ؟

فقال طوني وهو ينقل بصره بين السيدات متسائلاً :

ـ ما رأيكن في قدح من الشراب ؟

فقالت فالنتين :

ـ أريد قدحاً من الويسكي ؟

وقالت باميلا :

ـ انني أفضل قدحاً من الجعة .

وقالت سوزان :

ـ أما أنا فأريد قدحاً من عصير الفاكهة ..

فقال شانتري وهو ينهض :

ـ حسناً .

وقدم قدح الويسكي الذي جـاءه به دجلاس جولد إلى زوجته قـائلاً :

ـ خذي أنت هذا القدح ، وسأطلب لنفسي قدحاً آخر ، وأنت يا مسز جولد ، ماذا تطلبين ؟

وكان دغلاس يساعد امرأته على خلع معطفها ، فالتفتت إلى الكابتن شانتري وقالت :

ـ أريد قدحاً من عصير البرتقال إذا تفضلت ..

وغادر البهو ..

وتطلعت ماركوري إلى وجه زوجها وقالت وهي تبتسم :

ـ كانت نزهة جميلة يا دغلاس ، ليتك كنت معنا .

ـ حسناً .. قدح من عصير البرتقال .

- كنت أتمنى ذلك ، على أننا سوف نخرج للنزهة مرة أخرى .. أليس كذلك ؟

وابتسم كل منهما للآخر ..

وتناولت فالنتين قدح الويسكي وتجرعته دفعة واحدة ..

ثم تنهدت وقالت :

- آه .. كم كنت بحاجة إلى هذا الشراب !

وتناول دغلاس معطف امرأته ووضعه على أحد المقاعد .

ثم استدار لينضم إلى الآخرين ، ولكنه جمد في مكانه فجأة .. وهتف :

- ماذا .. ماذا حدث ؟

ذلك أنه رأى فالنتين شانتري تستلقي متراخية في مقعدها .. وتضع يدها على قلبها وقد تحول احمرار شفتيها إلى زرقة قاتمة .

تمتمت وهي تناضل لتلتقط أنفاسها :

- أحس .. أحس بشعور غريب ؟

وكان طوني قد عاد فصاح وهو يسرع الخطى :

- فالنتين ! ماذا بك ؟

- لا أعلم .. هذا الشراب كان مذاقه غريباً ؟

- الويسكي ؟

واستدار بسرعة وشرر الغضب يتطاير من عينيه .. وأمسك بكتفي جولد قائلاً :

- جولد .. إنك جئتني بهذا القدح لأشربه .. لماذا وضعت فيه

بحق الجحيم؟

وكان جولد يحملق إلى فالنتين ووجها المستقلي ، ففر لونه .

وانزلقت فالنتين من مقعدها ، وسقطت على الأرض .

فصاح الجنرال بارتز :

- استدعوا طبيباً ، بسرعة . .

ولكن فالنتين شانتري أسلمت الروح بعد خمس دقائق .

- ٦ -

لم يذهب أحد من النزلاء إلى البحر في اليوم التالي .

ومرت باميلا ليول بمسيو بوارو ببهو الفنـدق ، وكانت ترتدي ثوباً بسيطاً داكناً ، فأمسكت بساعد البوليس السري البلجيكي وذهبت به إلى القاعة الصغيرة المخصصة لكتابة الرسائل .

قالت :

– هذا مخيف .. مخيف .. أنت قلت ذلك وتوقعت أن تحدث جريمـة قتل ؟

فأحنى رأسه بحزن ولم يجب ..

وضربت باميلا الأرض بقدمها وقالت :

– كان ينبغي عليك أن تمنع وقوع هذه الجريمة ، كان من الممكن منعها بطريقة أو بأخرى .

– كيف ؟

– ألم يكن بوسعك أن تذهب إلى البوليس .

– وماذا أقول لهم : ماذا كان يمكن قوله قبل الحدث ؟ هل أقول لهم ، ان في نية أحدهم ان يرتكب جريمة قتل ؟ اصغي اليّ يا ابنتي ..

حين يقرر شخص ما أن يقتل شخصاً آخر .

فقالت باميلا بإصرار :

— كان في استطاعتك أن تحذر الضحية .

— التحذيرات لا تجدي في بعض الأحيان ؟

فقالت باميلا ببطء :

— كان في مقدورك ان تحذر القاتل ، وأن تقول له إنك تعرف ماذا ينوي عمله .

فأومأ بوارو برأسه علامة الموافقة وقال :

— نعم . هذا رأي أفضل ، ومع ذلك فإنه ينبغي عليك في هذه الحالة أن تقاومي أم رذيلة في القاتل !

— وما هي ؟

— الغرور ، إن المجرم لا يصدق أبداً أن جريته يمكن أن تفشل !

فصاحت باميلا :

— ولكن هذا هراء ، انها جريمة صبيانية ، وقد القى البوليس القبض على دغلاس جولد على الفور .

فقال بوارو وهو مستغرق في التفكير :

— نعم .. إن دغلاس جولد شاب غبي .

— غبي إلى درجة لا يصدقها عقل ، وقد سمعت أنهم وجدوا باقي كمية السم . ما نوع السم ؟

— ستروبانتين .. وهو سم القلب .

— سمعت أنهم وجدوا الكمية المتبقية من هذا السم بجيب ردائه .

- هذا صحيح ؟

- يا له من غبي ! لعله كان ينوي التخلص من الكمية المتبقيـــة ، ولكن الصدمة التي أصابته أو مصرع الشخص الخطـأ أذهلته وشلت تفكيره وحركته .. يا له من منظر جـدير بمسرحية ناجحة ! العاشق يضع السم في قدح الزوج ، ثم يغفل عن مراقبة القدح ، فتتناوله الزوجة وتشربه بدلاً من زوجها ..

تصور اللحظة الخيفة ، حين استدار دغلاس جولد ، فوجد أنـه قتل المرأة التي يحبها .

ومرت بجسدها رعدة ، ومضت تقول :

- المثلث الخالد ، من كان يظن أنه سينتهي على هذا النحو ؟

فتمتم بوارو قائلا :

- انني كنت أتوقع ذلك وأخشاه !

- تقول انك حذرت مسز جولد ، فلماذا لم تحذره هو أيضاً ؟

فرد بوارو :

- تعنين لماذا لم احذر دغلاس جولد ؟

فردت باميلا بعصبية :

- كلا .. أعني لماذا لم تحذر الكابتن شانتري ، كان بوسعك أن تقول له إنه في خطر ، فقد كان هو العقبة الحقيقية بين دغلاس وفالنتين وأنا واثقة ان دغلاس كان مطمئناً إلى أنه يستطيع ارهاب امرأته وحملها على طلب الطلاق .. انهـــا امرأة مسكينة ضعيفة وتحبه بجنون ، أما شانتري ، فإنه من طراز آخر .. وكان مصمماً على ان

يمنح فالنتين حريتها .

فهز بورو كتفيه وقال :

– لم يكن هناك فائدة من التحدث إلى شانتري .

– ربما كنت على صواب ، ولعله كان سيقول لك إنه يستطيع الدفاع عن نفسه ، وإنه يمكنك أن تذهب إلى الجحيم ، ولكني أشعر بأنه كان هناك شيء ينبغي عمله .

فقال بوارو ببطء :

– لقد فكرت في أمر أنصح لفالنتين شانتري بمغادرة الجزيرة ، ولكنها ما كانت لتصدق ما كنت سأقوله لها ، إنها كانت على قدر كبير من الغباء ، بحيث لا يمكن أن تصدقني ، ولقد ذهبت ضحية غبائها .

– لا أظن انه كانت هناك فائدة من مغادرتها الجزيرة ، لأنه كان سيتبعها .

– من ؟

ردت مس باميلا :

– دغلاس جولد !

فقال بوارو :

– أتعتقدين أن دغلاس كان يمكن ان يتبعها ؟ كلا يا آنسة ، إنك مخطئة تماماً .. انك لم تفهمي الموقف على حقيقته ، لو ان فالنتين شانتري غادرت الجزيرة لذهب زوجها معها .

فبدت الحيرة على باميلا وقالت :

- هذا أمر طبيعي .

- وحينئذ تقع الجريمة في مكان آخر .

- انني لا افهمك ؟

- أقول لك أن نفس الجريمة كانت ستقع في مكان آخر ، أعني جريمة قتل فالنتين شانتري بيد طوني .

فحملقت باميلا فيه وهتفت قائلة :

- هل تريد ان تقول أن طوني شانتري هو الذي قتل فالنتين ؟

- نعم .. انه قتلها تحت سمعك وبصرك ، فقد أحضر له دغلاس جولد قدح الويسكي ، فجلس ووضعه أمامه ، ولما اقبلت السيدات ، رفعنا كلنا رؤوسنا ونظرنا اليهن عبر البهو ، وكانت مادة الاستروبانتين في يده ، فوضعها في القدح ، وقدم القدح لزوجته في ادب فتجرعته .

- ولكن بقية المادة السامة وجدت في جيب دوغلاس ؟

- ليس أيسر من وضعها في الجيب ، بينما كنا جميعاً مشغولين بالمرأة المسكينة .

ومرت دقيقتان قبل ان تلتقط باميلا انفاسها .

قالت :

- انني لا أفهم شيئاً ، والمثلث انت نفسك قلت انه .

- قلت ان هناك مثلثاً ، ذلك صحيح .. ولكنك تصورت المثلث الخطأ .. وانخدعت بالتمثيل البارع .. فقد اريد لك ، بل وللجميع أن يعتقدوا ، أن كلا من دغلاس جولد وطوني شانتري يحب فالنتين ، وصدقت أنت ، كما اريد لك وللجميع ان يصدقوا حب دغلاس لفالنتين ،

ورفض شانتري ان يطلقها ، قد حمل دغلاس على دس السم لشانتري ، وأن فالنتين شربت السم خطأ .

كل هذا وهم .

فقد كان شانتري يضمر التخلص من زوجته منذ زمن بعيد ، كان يمقتها وينفر منها بشدة ، وقد لاحظت أنا ذلك منذ البداية انه اقترن بها من أجل مسالها ، ولكنه الآن يريد أن يقترن بامرأة اخرى ، ولذلك خطط التخلص من فالنتين مع الاحتفاظ بأموالها ؟

– امرأة أخرى !

فقال بوارو ببطء :

– نعم .. امرأة اخرى هي ماركوري جولد الضئيلة الجسم .. كان ذلك هو المثلث الأبدي الذي فهمته أنت على غير حقيقته ، لم يكن الرجلان يهتمان بفالنتين ، ولكن غرورها وخيلاءها ، بالاضافة إلى تمثيل ماركوري البارع . حمل الجميع على الاعتقاد بأن الرجلين يتنافران من أجل فالنتين .

إن ماركوري امرأة ماهرة كثيراً ، ولها من صغر حجمها ومظاهر خضوعها جاذبية خاصة ، إنها من الطراز الذي يرتكب جريمة القتل بمثل الثبات الذي تشرب به قدحاً من عصير الفاكهة ، وقد كانت الخطة مدبرة بدقة وبراعة عظيمتين ..

وإلا فحدثيني .. أي دليل لديك على ان دغلاس جولد قد أحب فالنتين شانتري ؟ إذا فكرت في الأمر ملياً لوجدت أنه لا يوجد أي دليل سوى كلام ماركوري وغيرة شانتري .. اليس كذلك ؟

فصاحت باميلا :

ـ هذا مخيف !

ـ إن شانتري ومسز جولد غاية في البراعة ، وقد خططا للقاء هنا وارتكاب الجريمة . ان ماركوري امرأة جهنمية ، وشيطـان مريد .. اني لا أردد في ارسال زوجهـا الى المشنقـة دون أن أشعر بندم .. أو وخز ضمير !

ـ لقد قبض عليه البوليس وذهبوا به ليلة امس .

ـ هذا صحيح .. ولكن جاء دوري بعد ذلك ، فأدليت للبوليس ببعض الحقائق .. صحيح انني لم أر شانتري حين وضع السم في القدح ، ذلك لأنني فعلت كالآخرين ورفعت رأسي لأرى السيدات ، ولكني مـا كدت أدرك ان فالنتين شانتري ماتت بالسم حتى شرعت في مراقبـة زوجها ، فلم أدعه يغيب عن عيني .. وهكذا استطعت ان أراه حين دس الكمية الباقية بجيب دغلاس .

وصمت قليلا ثم قال :

ـ اني شاهد يعتد بأقواله ، واسمي معروف .. فلم يكد رجـــال الشرطـــة يسمعون أقوالي حتى بدأوا ينظرون الى القضية من زاوية مختلفـة .

ـ وماذا حدث بعد ذلك ؟

ـ انهم القوا على الكابتن شانتري بضعة اسئلة ، فحاول الانكار في البداية ، ثم انهار تماماً .

ـ وهكذا اطلقوا سراح دغلاس ؟

— نعم ..

— وماركوري ؟

فقال بوارو بشيء من الصلابة :

— النبي حذرتها .. حين قابلتني على قمة الجبل ، كانت تلك هي الفرصة الوحيدة لتجنب الجريمة . قلت لها ما معناه بصراحة اني ارتاب فيها ، وقد فهمتني ولكنها توهمت انها بارعة كثيراً .. طلبت اليها أن تغادر الجزيرة اذا كانت تقيم وزناً لحياتها .. ولكنها آثرت البقاء .

الزائر الغريب

وقفت بباب مكتب جيمس هاركر سمسار العقارات بمدينة (ايفي كورنرز) سيارة فخمة ، تدل لوحتها المعدنية على انها من نيويورك .

ولم يكن هاركر بحاجة إلى النظر في لوحة السيارة كي يعلم أن صاحبها ليس من اهل المدينة ، فقد كانت السيارة حمراء فارهة ، لا مثيل لها في (ايفي كورنرز) ، وكان صاحبها قصير القامة بديناً ، لم يسبق لهاركر أن رآه .

وغادر الشخص سيارته ووقف على افريز الشارع ، يتأمل اللافتة الكبيرة التي وضعها هاركر على باب مكتبه .

قال السمسار يحدث سكرتيرته التي كانت وقتئذ في شغل بقراءة احدى القصص :

– تظاهري بالاستغراق في العمل يا هيلين ، فقد اقبل زبون .

فأخفت هيلين القصة في أحد الأدراج ، ووضعت ورقة بيضاء في الآلة الكاتبة وسألت السمسار :

– ماذا اكتب يا مستر هـاكر ؟
– أي شيء .. أي شيء !

وفتح الرجل البـــاب ودخل ، وراح ينقل بصره بين السكرتيرة والسمسار ، ثم أحنى رأسه لهذا الأخير محيياً وقال متسائلا :

– هل انت مستر هاكر ؟
– نعم يا سيدي ، فماذا أستطيع ان افعل من اجلك ؟

فلوح بصحيفة في يده وقال :

– لقد قرأت اعلاناً عن مكتبك في هذه الصحيفة ؟
– نحن ننشر هذا الاعلان في (التيمس) ، مرة كل أسبوع ، لأن الكثيرين من اهـــل المدينة الكبراء يتوقون إلى شراء بيوت في المدن الصغيرة الهادئة ، يخيل اليّ أنك من نيويورك يا مستر ..

فقـال :

– بيري .. ادكار بيري !

واخرج من جيبه منديلاً جفف به عرقه وقال :

– ان الطقس حار اليوم ؟
– هذه موجة طـــارئة ، لن تستمر طويلا ، فإن الجو في هذه المدينة معتدل بصفة عـامة ، لأنهـا تقع على ضفة بحيرة كبيرة ، لا شك انك مررت بها وأنت في طريقك الينا ، ألا تتفضل بالجلوس يا مستر بيري ؟
– شكراً .

وتهالك على أحد المقاعد ، وتنهد بارتياح وقال :

– لقد طفت بارجاء المدينة قبل قدومي اليك ، وهي في الحق مدينة صغيرة هادئة !

– إنها لكذلك ، هل لك في لفافة تبغ يا مستر بيري ؟

– كلا .. شكراً ، ثم إن وقتي ضيق ، فهل نستطيع التحدث فوراً فيما أتيت بخصوصه ؟

ثم وجه حديثه إلى الفتاة قائلاً :

– هلا كففت عن الكتابة الآن يا هيلين ؟ إن ضوضاء الآلة الكاتبة لا يحتمل .

– حسناً يا مستر هاكر .

– والآن يا مستر بيري .. هل وقع اختيارك على منزل معين تريد شراءه ؟

– الواقع أنني رأيت منزلاً على مشارف المدينة ، وأريد أن أعرف شيئاً عنه ، إنه منزل قديم يخيل اليّ أنه مهجور ؟

– هل هو قائم على أعمدة وتحيط به حديقة واسعة ؟

– نعم ، وقد رأيت عليه لوحة تدل على أنه معروض للبيع .

فهز هاركر رأسه في حزن وقال :

– هذا المنزل غير جدير باهتمامك يا سيدي .

فسأله مستر بيري :

– لماذا ؟

فقدم اليه هاركر قائمة بالمنازل المعروضة للبيع وقال :

– اقرأ ما كتب عنه في هذه القائمة .

وقرأ مستر بيري :

منزل قديم يتألف من ثماني غرف ، وحمامين ، وتحيط به حديقة كبيرة .. وموقعه قريب من السوق والمدارس ، الثمن ٧٥ الف دولار .

قال هاركر :

ــ ألا يزال يهمك شراء هذا المنزل يا مستر بيري ؟

ــ ولِمَ لا ؟ هل ثمة ما يمنعني من شرائه ؟

فحك هاركر رأسه وقال :

ــ إذا كانت هذه المدينة قد أعجبتك حقاً .. وكان في نيتك الاقامة بها ، فإنني أستطيع أن اعرض عليك بيوتاً أفضل من هذا بكثير ؟

فقال مستر بيري :

ــ صبراً لحظة ، لقد جئتك للاستفسار عن هذا المنزل بعينه ، فهل تريد أن تبيعني إياه أو لا تريد ؟

فارتسمت على شفتي هاركر ابتسامة ساخرة وقال :

ــ دعني أوضح لك الأمر يا مستر بيري .. منذ خمس سنوات جاءتني السيدة فلورنس غريم عقب وفاة ابنها وطلبت إليّ التوسط في بيع منزلها ، ولكن قلت لها في صراحة ، أن الثمن الذي تطلبه مبالغ فيه كثيراً ، وإن المنزل لا يساوي اكثر من عشرة آلاف دولار .

ولم يستطع مستر بيري اخفاء دهشته ، وصاح :

– كيف تطلب إذاً خمسة وسبعين ألف دولار ثمناً لمنزل لا يساوي اكثر من عشرة آلاف ؟

– أرجو ألا تسألني عن ذلك ، إن المنزل قديم فعلا ويكاد أن يكون أثرياً ، ولكن بعض أعمدته توشك أن تنهار ، وقبوه مليء بالماء ، وطابقه العلوي مائل نحو خمسة عشر سنتيمتراً !

فسأله مستر بيري :

– إذاً لماذا تطلب هذا المبلغ الباهظ ثمناً لمنزل متداع ؟

فهز هاكر كتفيه وقال :

– لعلها تفعل ذلك لأسباب عاطفية ، فالمنزل مملوك لأسرتها منذ حرب الاستقلال .

فأطرق مستر بيري برأسه وغمغم قائلا كمن يحدث نفسه :

– هذا أمر يؤسف له !

وارتسمت على شفتيه ابتسامة باهتة ..

وقال يحدث مستر هاكر :

– لا أكتمك أن المنزل أعجبني لحسن موقعه ، وكنت أفكر فيه باعتباره المكان الذي طالما حلمت بالاقامة في مثله .

– الواقع انه صفقة طيبة بمبلغ عشرة آلاف دولار ، أما أن يدفع المشتري خمسة وسبعين الفاً ..

وقلب شفته وضحك ، ثم استطرد قائلا :

– انني أفهم وجهة نظر صاحبته ، وأعرف طريقة تفكيرها .. إن ايرادها ضئيل ، وكان ابنها يساعدها بالمال منذ كان يعمل في

نيويورك ويربح كثيراً ، ثم مات الابن ، ووجدت المرأة أن من الأوفق ان تبيع المنزل ، ولكنها لم تستطع اقناع نفسها بالتخلي عنه .. بعد أن عاشت فيه هي وأسرتها أكثر من قرن من الزمان ، ولهذا حددت له ثمناً باهظاً لا يقبله أحد .. وبذلك أرضت ضميرها .

– إن بعض الناس ينحون في تفكيرهم نحواً عجيباً .

فقال مستر بيري وهو مستغرق في التفكير :

– نعم .. هذا صحيح :

ثم نهض واقفاً وقال :

– لقد خطر لي خاطر يا مستر هاكر ، لماذا لا تدعني اتصل بمسز غريم وأتفاوض معها ، فربما استطعت اقناعها بخفض الثمن .

فتمتم هاكر :

– سوف تضيع وقتك سدى يا مستر بيري .. انني أحاول ذلك منذ خمسة أعوام .

– من يدري ؟ ربما إذا حاول ذلك أحد سواك .

– جرب حظك إذاً ، وأنا على استعداد لمعاونتك .

فقال مستر بيري :

– حسناً . إذاً سأمضي اليها الآن ..

– لا بأس .. سأتصل بها تليفونياً على الفور لأنبئها بقدومك

* * *

واجتاز مستر بيري شوارع المدينة الصغيرة الهادئة بسيارته الحمراء الكبيرة .. ووصل إلى منزل أحلامه دون أن يلتقي في طريقه بأية سيارة أخرى .

ودق باب المنزل ، ففتحته سيدة قصيرة القامة ، بدينة الجسم ، وقد وخط الشيب شعرها ، وأحدثت السنون في وجهها أخاديد عميقة تلتقي كلها عند ذقن تنم عن العناد وقوة الارادة .

قالت :

– لا بد أنك مستر بيري .. لقد اتصل بي مستر هاكر وأنبأني بقدومك .

فأجاب بيري وهو يضع على شفتيه أعذب ابتسامة :

– نعم يا سيدتي .. هل تسمحين لي بالدخول ؟ إن الحر لا يطاق .

– أعلم ذلك ، وقد أعددت لك قدحاً من عصير الليمون المثلج ، تفضل بالدخول يا سيدي ، ولكن لا تتوقع الدخول معي في مساومات ، فإنني لست ممن يساومون .

فرد في ادب :

– أعلم ذلك يا سيدتي .

وتبعها إلى الداخل !

وكان المنزل مظلماً رطباً ، فقادته السيدة إلى قاعة استقبال فسيحة تبعثرت في أرجائها قطع من الأثاث لا طراز لها ولا لون .

وجلست المرأة على أحد المقاعد ، وعقدت ساعديها فوق صدرها بحزم وقالت :

- إذا كان لديك ما تريد قوله يا مستر بيري فقله على الفور .
فتنحنح بيري ليجلو صوته ، وقال في رقة ودعة :
- لقد تحدثت إلى السمسار بشأن هذا ..

فقاطعته قائلة :
- أعلم كل ذلك ، ولكن ماكر كان مغفلا حين شجعك على القدوم لمساومتي ومحاولة اقناعي بخفض ثمن المنزل ، فليس من اليسير على من كانت في مثل سني أن تتزحزح عن رأيها ؟

فقال بيري متلعثماً :
- الواقع يا سيدتي ، ان هذه لم تكن نيتي ، انما كنت أريد أن أتجاذب معك أطراف الحديث !
فتراخت المرأة في مقعدها وقالت :
- الكلام مباح ، فقل ما بدا لك .

فقال بيري وهو يجفف عرقه :
- سأوضح لك الموقف بايجاز .. انني رجل أعمال ، وأعزب .. وقد كافحت طويلا وجمعت ثروة لا بأس بها ، وآن لي أن أستريح واقضي بقية حياتي في مكان هادىء ، لقد أعجبتني هذه المدينة .. وأذكر انني مررت بها في احدى جولاتي وقلت لنفسي : حبذا لو أجد بها بيتاً يصلح لاقامتي ؟

وقد اتيت اليوم الى هذه المدينة ، ورأيت هذا المنزل ، وخيل الي انه ضالتي المنشودة .
- انا أيضاً احب هذا المنزل يا مستر بيري ، والثمن الذي ذكره لك

مستر هاكر معتدل كثيراً .

ـ خمسة وسبعون الفاً ليست ثمناً معتدلاً يا مسز غرين ، ان بيتاً كهذا لا يكلف في هذه الأيام اكثر من ..

فقاطعته المرأة صائحة :

ـ كفى .. كفى يا مستر بيري .. قلت لك إنني لست على استعداد للمساومة ، فإذا لم تكن على استعداد لدفع الثمن الذي طلبته ، فأرجو أن تعتبر الموضوع منتهياً .

ـ ولكن .

ـ طاب يومك يا مستر بيري ..

ونهضت واقفة ، كأنما لتوحي اليه بالانصراف ..

ولكنه لم يبرح مكانه وهتف قائلاً :

ـ صبراً لحظة يا سيدتي ، صبراً لحظة ، إنه ثمن خيـالي ، ولكن .. ولكن لا بأس ، سأدفع ما تطلبين .

فرمقته بنظره فاحصة طويلة ، ثم قالت ببطء :

ـ هل انت واثق من ذلك يا مستر بيري ؟

ـ كل الوثوق .. عندي مـــال كثير ، وما دامت هذه إرادتك .. فليكن ما تريدين !

فقالت وعلى شفتيها ابتسامة غامضة :

ـ لا بد أن يكون عصير الليمون قد اثلج الآن .. سآتيـك بقدح منه ، ومن ثم أحدثك عن هذا المنزل ؟

وجفف بيري عرقه ، وتناول قدح العصير المثلج الذي جاءت به المرأة

على صفحة صغيرة ، وتجرع الشراب بشراهة .

وقالت العجوز وهي تسترخي في مقعدها :

ــ لقد امتلكت أسرتي هذا المنزل منذ سنة ١٨٠٢ ، وكان قد بني قبل ذلك بنحو خمسة عشر عاماً .. وجميع أفراد الأسرة ــ فيما عدا ابني ميشيل ــ قد ولدوا في غرفة النوم بالطابق الثاني أنا الوحيدة التي شذذت عن أمهات الأسرة ، فقد وضعت ميشيل في أحد المستشفيات .

ولمعت عيناها الضيقتان واستطردت قائلة :

ــ أنا أعلم أنه ليس أفضل منزل في المدينة ، ومنذ بضعة أعوام ، امتلأ قبوه بالماء ، ولم يجف تماماً منذ ذلك الوقت .

وقد توفي زوجي ولم يبلغ ميشيل التاسعة من عمره ، وضاق بنا الحال حتى اضطررت إلى مزاولة الحياكة والتطريز وأشغال الابرة ، وكان أبي قد ترك لي ايراداً صغيراً وهو الذي أعيش به حتى الآن .

وافتقد ميشيل أباه ، ونشأ غلاماً ثائراً متمرداً ، طموحاً كغيره من الشباب ، فما أن تخرج من الجامعة ، حتى رحل إلى نيويورك رغم إرادتي ، ولا بد أنه نجح في عمله هناك ، لأنه كان يرسل لي نقوداً بانتظام ، ولكني لم اره طيلة تسعة اعوام !

واغرورقت عيناها بالدموع ومضت تقول :

ــ وقد آلمني فراقه .. ولكن ألمي كان أشد حين عاد ، لأنه كان في مأزق ..

ولم اعرف تماماً ما هي متاعبه ، فقد اقبل في منتصف الليل ..

كان شديد الهزال والنحول ، ويبدو اكبر سناً مما هو حقيقة ، ولم يكن يحمل من المتاع سوى حقيبة صغيرة سوداء ، وحينما حاولت فتح الحقيبة ، رفع يده وهم بأن يضربني .. نعم ، هم بأن يضربني ، انا أمه .

ووضعته في الفراش كما كنت افعل وهو طفل ، ولكن لم يغمض له جفن ، وظل يبكي طوال الليل .

وفي الصباح .. طلب الي ان اغادر المنزل ابضع ساعات ، وقال انه يريد ان يفعل شيئاً ، ولم يوضح لي طبيعة ذلك الشيء ، ولكني لاحظت حين عدت في المساء ان الحقيبة اختفت .

وهنـــا افرغ مستر بيري في جوفه ما تبقى في القدح من عصير الليمون وسأل :

— وكيف تفسرين ذلك ؟

— لم اعرف على الفور ، ولكنني عرفت كل شيء في المساء ، فقــد اقبل شخص إلى المنزل في المساء ، ولا اعلم كيف دخل ، ولكنني علمت بوجوده حين سمعت صوته في غرفة ميشيل ، فألصقت اذني بباب الغرفة ، وحاولت أن انصت الى حديثهما لأعرف نوع المتاعب التي تقلق ميشيل وتؤرقه ، ولكنني لم اسمع سوى صيحات الغضب وعبارات التهديد ، وفجـــأة ..

وصمتت العجوز لحظة ، وغاص رأسها فوق صدرهـــا كما لو كانت الذكريات تمضها وتثقل كاهلها .. ثم عادت الى الحديث :

— وفجأة ، دوى طلق ناري ، فاقتحمت الغرفة ، ورأيت احدى

النوافذ مفتوحة ، وقد اختفى الزائر المجهول ، امــا ميشيل فكان ممدداً على الأرض جثة هامدة .

وصمتت المرأة مرة أخرى .. ثم عادت الى سرد قصتها :

ــ كان ذلك منذ خمس سنوات ، خمس سنوات طوال ، وقــد انقضى بعض الوقت .. قبل ان اعرف الحقــائق كلها من رجال البوليس ؟

ويبدو مما قاله رجال البوليس ، ومما حدث في ذلك اليوم المشؤوم ان ميشيل والشخص الآخر اشتركا في السطو على احد البنوك ، وسرقا بضعة آلاف من الدولارات ، وان ميشيل اراد الاحتفــاظ بالمبلغ كله لنفسه ، فجــاء به في الحقيبة ، وطلب مني مغــادرة المنزل ليتسنى له اخفاؤه في مكان ما ، وحين أقبل شريكه في مساء اليوم التــالي المطالبة بنصيبه ، ولم يجد المال .. اطلق رصاصة على ميشيل صرعته على الفور .

وحدقت المرأة في وجه مستر بيري واستطردت تقول :

ــ وهذا هو السبب في انني حددت ثمن هذا المنزل بخمسة وسبعين الف دولار .. كنت اعلم ان قــاتل ولدي سيعود يومــاً ما وسيحاول شراء هذا المنزل بأي ثمن ، للبحث فيه عن الحقيبة .. وأصبحت كل مهمتي ان انتظر بفروغ صبر ، حتى يأتي الشخص الذي يبدي استمداده لشراء هذا المنزل المتداعي بالثمن الباهظ الذي حددته .

قالت ذلك ونظرت الى مستر بيري وعلى شفتيها ابتسامة ساخرة ماكرة ؟

وكان بيري يترنح في مقعده وقد زاغ بصره ؛ وحين حـــاول اعادة القدح الى مكانه في الصفحة ، لم يستطع ذلك .. وسقط القدح من يده ؟

وسمعته المرأة يغمغم بصوت متقطع :

ــ يا الهي ! ما أشد مرارة هذا المصير !

وكانت تلك آخر كلمة نطق بهـــا مستر بيري قبل ان يقتله الشراب المسموم .

المد والجزر

هدأت الأمواج بالتدريج ، وسكنت حركة المـــاء لفترة قصيرة ، وسيعقبها حتماً ارتفاع المد ..

وزحف الماء مرة أخرى من الخليج الى النهر ، ومن النهر الى المنخفض أمام منزل راي جارفن الذي اوشك ان يتم بناؤه ..

وهبت ريح خفيفة تماوجت معها اعواد العشب في المراعي المترامية التي تشغل نحو نصف ميل مربع شرقي النهر .

* * *

واسند لويد ريد مرفقيه على الحاجز الخشبي عند نهاية الجسر الخشبي القائم فوق المنخفض بين ضفة النهر وباب المنزل الجديد واطـــل على الشخص الذي في القارب وسأله :

– كيف وجدت الأعمدة الخشبية يا راي ؟

فرسا رأي جارفن بالقارب الكبير على الشاطىء .. وقفز منه الى الأرض الموحلة ، والقى الى ريد بطرف الحبل المشدود الى القارب لكي يربطه بحاجز الجسر حتى لا يفلت القارب الى عرض النهر .

وقـال :

- أظن أنه لا بد من دعم القوائم الخشبية حتى لا ينهار الجسر .

قال ذلك وأخرج من جيبه مطواة فتح نصلها وغرسه في أحد الأعمدة الخشبية ليختبر صلابته وسأل :

- كم تظن عمر هـذا الجسر يا لويد ؟ عشرة أعوام ؟ عشرون عـامـاً ؟

فأجاب ريد :

- لا أعلم إذا كان هـــذا هو نفس الجسر ، ولكن أذكر انني كنت أحضر مع أبي إلى هذا المكان .. كان ذلك منذ نحو خمسة وعشرين عاماً .

فطوى جارفن النصل وأعاد المطواة إلى جيبه وقال :

- ليت هذا الجسر قد احترق أيضاً مع المنزل القديم ..

ومشى تحت الجسر ، وأمسك بأحـد القواعد الخشبية ..

وقـال :

- أظن أنه يحسن بي أن أهدم هذا الجسر وأقيم مكانه آخر جـديداً .

وهز القائم الخشبي بكل قوته ..

فصاح به ريد :

– مهلاً . مهلاً ، لا تهزه وإلا سقط .

ورأى كارفن فوق رأسه ثلاث كتل حديدية تشد أزر الجسر ، وقرر أن يأمر رجاله في اليوم التالي بنقل هذه الكتل ووضعها على ضفة النهر لاعادة استخدامها حين يقيم الجسر الجديد .

قال ريد :

– لا تهز القوائم الخشبية مرة أخرى يا راي ، فإنه يخيل الي أنها ليست مثبتة كما يجب . وربما .

ولم يتم عبارته ، فقد دوى فجأة صوت كطلقة مدفع ، ورأى كارفن شظايا وأتربة الخشب العفن تتساقط حوله ، وكان رد الفعل الغريزي ، حتى قبل ان يسمع صيحة ريد وتحذيره ، هي محاولة الخروج من تحت الجسر ، فألقى بنفسه جانباً ..

ولكنه انزلق في الوحل وسقط على وجهه ، وسمع فوقه صوت ارتطام كتل الحديد بعضها ببعض ..

وأدرك على الفور أن الجسر ينهار . وانه يجب أن يخرج من تحته ، فراح يحرك يديه وقدميه على الأرض الموحلة المنزلقة ، ولكنه كان كمن يجري في الحلم ، فلم يتقدم خطوة واحدة ..

وفجأة ، اصطدم شيء بقدمه اليمنى . أرسل وخزة ألم في ساقه ، وشلت قدمه فلم يستطع تحريكها .. ووجد نفسه يصرخ من فرط الألم .

وساد الصمت لحظة ..

كان كارفن ممدداً على الأرض ، ووجهه في الوحل وعيناه مغمضتان ،

وهو يحاول جاهداً أن يتغلب على الألم الذي يشعر به في قدمه .

لا بد ان احدى الكتل الحديدية قد سقطت على قدمه فسحقتها !

سمع صوتاً يصيح :

راي .. راي ..

فرفع رأسه ، ورأى ريد قادماً نحوه وهو يصيح :

– هل أنت بخير يا راي ؟

فقال وهو يحاول أن يبتسم :

– لم اكن أعلم ان لي قوة شمشوم .. وإنني أستطيع أن أهدم الجسر بيدي ؟

فانحنى ريد فوقه ونظر إلى ساقه وقال :

– هل تستطيع ان تجذب ساقك ؟

– لا اعلم !

ووضع كفيه على الأرض ، ورفع رأسه لكي يتمكن من رؤية قدمه .

كانت إحدى الكتل الحديدية قد سقطت فوق قدمه ، وغرستها في الوحل .

قال :

– لقد تهشمت قدمي ، انا واثق من ذلك ..

فقال ريد :

– انك حسن الحظ .. فقد سقطت الكتلتان الأخريان بعيداً عنك

ـ أنا حسن الحظ طبعاً .. والآن .. ارفع هـذه الكتلة عن قدمي !

فنظر اليه ريد في دهشة وقال :

ـ ارفعها ؟ إن عرضها ٢٥ سنتيمتراً ، ولا بد أنهـا تزن أكثر من أربعمائة رطل .. انك حسن الحظ لأنها لم تفصل القدم عن الساق .

ـ ألا تكف عن الحديث عن حسن حظي وتحاول أن تفعل شيئاً ؟

فهز ريد كتفيه وحك رأسه ، وجثا بجانب جـارفن ، ونظر إلى قدمه ، ورأى طرف الكتلة يجثم فوقها ..

فحك رأسه مرة اخرى وقال :

ـ يا إلهي ! لا تظن انني استطيع عمل شيء يا راي ، انت تعلم كم أعاني من آلام الظهر .

وكان جارفن يعلم ان لويد يعاني من آلام الظهر حقاً .. الجميع كانوا يعلمون .. كانت آلام الظهر هي سبب شهرته ، فقد القى بنفسه بالمظلة من طائرته المحترقة اثناء الحرب فسقط في المانش .

كذلك كانت آلام الظهر هي مصدر رزقه الوحيد ..

فقد قرروا له معاشاً شهرياً اسوة بغيره من المحاربين الذين أصيبوا في المعارك اصابة اعجزتهم عن العمل .

* * *

اغمض جارفن عينيه لحظة وقال :

— معذرة يا لويد ، لما قصدت ان اصرخ في وجهك .. ولكن ربما استطعت ان تحفر تحت قدمي بحيث اتمكن من جذبها ؟

— طبعاً ، طبعاً .. هذه فكرة طيبة !

وراح يحفر حول القدم بيديه .. ومست يده قدم جارفن ، فصرخ هذا ألماً ، فقال معتذراً :

— أنا آسف يا راي ؟

ومضى جارفن إلى يمينه فرأى القارب الذي تركه على الشاطىء منذ دقائق يطفو فوق الماء .

فقال :

— لقد بدأ المد . يجب أن اخرج من هنا .

فقال ريد :

— ماذا ستفعل يا راي ؟

— لا بد من رفع كتلة الحديد !

ونظر حوله وهو يعصر ذهنه للبحث عن وسيلة ، ووقع بصره على سيارة ريد بالقرب من الشاطىء ..

إن السيارة تمثل قوة يمكن استخدامها للخروج من هذا المأزق .

قال :

— اصغ الي يا ريد .. اربط طرف حبل بسيارتك ، والطرف الآخر بكتلة الحديد .. إن كل ما نريده ، هو زحزحة الكتلة بضعة

سنتيمترات .

- وأين الحبل ؟

- الحبل !

ونظر جارفن حوله بسرعة ، ومد يده اليمنى إلى القارب وتناول منه حبلاً ..

قال :

- اليك الحبل ، انه جديد وقوي !

تمتم ريد :

- ولكن طوله لا يزيد عن عشرة أمتار ، نحن بحاجة إلى ثلاثين متراً على الأقل لكي نصل إلى السيارة .

فنظر جارفن إلى الحبل الذي في يده ..

كان ريد على حق ..

سأله :

- والسيارة ؟ ألا يوجد بها حبال ؟

فهز ريد رأسه سلباً ..

وتذكر جارفن انه اشترى حزمة من الحبال وضعها في حقيبة سيارته ولكنه ترك السيارة في المدينة واستقل سيارة ريد .

* * *

وأحس بالماء يصل إلى ركبته .

سأل صديقه :

— كم يبلغ ارتفاع الماء عندما يصل المد إلى ذروته في هذه المنطقة يا ريد ؟

— ثلاثة أمتار !

ففكر جارفن ..

ثلاثة امتار .. خلال ست ساعــات ؛ أي حوالي نصف متر في الساعـــة .. ولكن كم يبلغ طول المسافة بين ركبة الرجل وأنفه ؟ حوالي ١٢٠ سنتيمتراً معنى هذا أن أمامه لحو ساعتين ونصف ، فإذا لم يخلص قدمه من تحت كتلة الحديد خلال هذه الفترة ..

قال :

— ريد !

— نعم ، هل فكرت في شيء ؟

فحول جارفن رأسه وقال وهو ينظر في عيني ريد :

— يجب أن تذهب في طلب النجدة ، يكفي رجلان قويان لرفع هذه الكتلة بحيث يتسنى لي أن اجذب قدمي .

فقال ريد وهو ينهض :

— أظنك على حق يا راي ، إن المسافة إلى المدينة لا تتجاوز خمسة اميال أو ستة أميال ، وربما أعثر على فورمان ، إنه قوي مفتول العضلات وكذلك كولياس !

فقال جارفن ببطء وهو يمسح جبينه بيده :

- ريد ، إنني في جحيم من الألم ، وقد اخذ المد في الارتفاع ، فهلا تفضلت بالذهاب ؟ اذهب أرجوك ؟ .

- طبعاً .. طبعاً !

وابتعد ، وراح يصعد من المنخفض ، ثم نظر من فوق كتفه .. وقـال :

- كدت أطلب اليـك ان تنتظرني حتى أعود ، ولكني وجدت أنها نكتة سخيفة !

ثم دس جيب قميصه وقال :

- بهذه المناسبة ، هل معك سجائر ؟ هل تريد أن أترك لك سجائري ؟

فبحث جارفن في جيبه ، ووجد علبة سجائره ، ولكن المـــاء والوحل كانا قد أتلفاها .

قال :

- أعطني سيجارة قبل ان تذهب .

فعاد ريد أدراجه ، وقدم لصديقه سجائره :

- سأعود بسرعة يا راي ، فتشجع !

وما ان ابتعد ريد حتى ناداه جارفن وقال :

- أسرع يا ريد ، لا أحد سواك يعلم انني في مأزق هنا ، و !

وصمت ، وندم فجأة على ما قال .

فنظر اليه ريد لحظة وقال :

ـ تجلد ؟

ومضى في طريقه ، وبعد قليل سمع جارفن صوت محرك السيارة .

وابتعد الصوت ، وسرعان ما تلاشى ؟

* * *

وساد السكون فترة طويلة ، ثم فجأة ، نشطت حواس جارفن ، فسمع حفيف أوراق الشجر ، وهمسات النسيم بين اعواد العشب ، وتسلل إلى نفسه احساس بالوحدة والعجز أثقل قلبه .

وفكر في لويد ريد ؟

لو أن حرية اختيار الرجل الذي يأتمنه على حياته ، لكان ريد آخر من يقع عليه اختياره .

ولكن لماذا ؟

إن الصداقة بينهما قد بدأت منذ عهد الطفولة ، والصداقة معناها الثقة ، فلم هذا الشك الذي يساوره في صديقه ؟

ونظر إلى الماء ، ووجد انه قد غطى ساقه المصابة ووصل إلى ركبتيه ؟

رفع يده ، ونظر إلى ساعته ، ورأى عقربيها عند الساعة الحادية عشرة والربع .

الآن لا بد ان تكون (ماري) في الكنيسة مع اختها اليانور ، لقد ذهب ريد منذ ربع ساعة ، ومعنى ذلك أنه لا بد أن تمر عشرون

دقيقة أخرى على الأقل قبل ان يعود .

ولم يصرفه ازدياد آلام قدمه مع كل نبضة من نبضات قلبه ، عن التفكير في .. في ماذا ؟

إنها مسألة وقت فحسب ، بعد بضع دقائق يعود ريد ومعه النجدة ، سوف يحملونه إلى المستشفى ، حيث تشد قدمه إلى الجبس ، وقد يضطر بعد ذلك إلى السير بعكاز فترة من الزمن ؟

نظر إلى ساعته مرة اخرى ، الساعة الآن الحادية عشرة والنصف .

ولاحظ عندما ارخى ساعده ، ان الماء وصل إلى أصابع يده !

رفع رأسه ، وأرهف اذنيه .. ولكنه لم يسمع غير صوت الماء والريح .

جمع الجاكيت حول جسده ، ليتقي البرد الذي بدأ يسري في أوصاله .

لقد مرت ثلاثون دقيقة على رحيل ريد ؟

ولكن ذلك كان العهد به دائماً ، كان دائماً لا يحفل بالوقت ، ولا يمكن الركون اليه والاعتماد عليه

إنه لم يتزوج قط ، ولا يمكث في وظيفة ما اكثر من ستة أشهر .

كان بوهيمياً في حياته ، مهملاً في عمله ، عاطلاً من الطموح ، ولا ينظر إلى ابعد من اللحظة التي يعيش فيها .

* * *

وقطب جارفن حاجبيه ، واستغرق في التفكير ؟

ترى هل كان ظاهر ريد كباطنه ؟ ام انه اصطنع هــذا المظهر مع مرور السنين ؟

وتذكر حادثاً وقع منذ أسابيع قليلة .

كان جارفن يومئذ في مكتبه ، ودخلت عليه زوجته ماري ، وكانا قد ابتاعا لتوهما ذلك المكان وشرعا في إقامة بيتهما الجديد .

وتذكر جارفن كيف جلس ريد ساكناً في احد المقاعد وراح يصغي إلى ماري وهي تتحدث في حماسة عن المنزل الجديد وموقعه الرائع ، والأثاث الذي ستمده له ، ثم شيعهـــا ببصره وهي تنصرف ، وتحول إلى جارفن وقال ، وفي عينيه نظرة غريبة :

– انت سعيـد الحظ يا راي ، اكبر الظن انك لا تدرك كم أنت سعيد الحظ ، زوجة رائعة ، وعمل ناجح ، ومنزل جديد ، ورصيد ضخم في البنك ؟

وتناول قلماً وراح يدق به على حافة المكتب واستطرد قائلاً :

– لقد غفل الزمن عنك .

ثم رفع رأسه وقال بصوت مفعم بالمرارة :

– انني أغبطك يا رجل !

ولكنها كانت حالة طارئة ، عاد بعدها إلى طبيعته .

وفكر جارفن ..

– ترى هل كانت حالة طارئة حقاً ؟ ألم تكن مساري وراء ذلك كله ؟ لقد كان ريد وثيق الصلة بها خلال العامين الأخيرين من أعوام الدراسة ، فهل عنى بما قال مجرد التعبير عن اسفه على فقدان ما كان يمكن ان يكون من نصيبه ؟

•

ومرة اخرى نظر جارفن إلى ساعته ..

لقد رحل ريد منذ خمس واربعين دقيقة ، ارتفع الماء خلالها بسرعة رهيبة حتى وصل إلى فخذيه ..

ترى ماذا حدث لريد ؟ هل انفجر إطار سيارته ؟ هل فرغ وقود السيارة ؟

ولم يجد جارفن بوسعه أن يفعل شيئاً سوى ان ينتظر ، فراح يشغل نفسه بالتفكير في الجسر الجديد وكيف ينبغي انشاؤه ؟

ولكن ما ان انتصف النهار وزاد ارتفاع الماء ، حتى طفت الشكوك التي راودته سراً وظهرت على السطح ..

قال لنفسه :

– إن ريد ان يعود ، انه سيتركني هنا حتى اموت !

كانت الفكرة منطقية تماماً ..

انها فرصة فريدة لم يتوقعها ريد ، ولم يخطط لها .. وفي استطاعته بقليل من الحظ والدهاء ان يحل مكان جارفن ويلتقط المشعل من يده

ويعيش الحياة التي بدأها هذا الأخير ..

لقد كانت ماري تميل الى ريد .. وكانت الصلة بينهما ايام الدراسة وثيقة .. فماذا يمنع هذه الصلة من ان تعود وتزداد وثوقـاً بعد موت جارفن ؟

ان ماري ليست المرأة التي تطيق الوحدة ، فإذا الح عليها ريد .

وفجأة ، ضرب جـارفن الماء بقبضة يده ، واستولى عليه شعور بالعجز واليأس !

الا توجد وسيلة لتحذير مـاري ، وتنبيهها الى ان مـا اصابه لم يكن مجرد حادث ؟

ومع ذلك ، فإنه ربما قد اساء الظن بصديقه دون مبرر ؟

ربما قد حدث لريد نفسه حادث ؟

وبلغت الساعة الثانية عشرة وعشر دقائق .. ووصل المـاء الى وسطـه ؟

واخذ جارفن يستعرض مراحل حياته !

لقد عمل بجد واخلاص ، ولم يكن بخيلاً ولاً مسرفاً ، واصبح قاب قوسين او ادنى من تحقيق كل اهدافه تقريبـاً ، وكان انشاء هذا المنزل احد هذه الأهداف ، فكيف يجـد نفسه بعد هذا كله كالحيوان في المصيدة ، وكل دقيقة تمر تدنيه من النهاية ؟

وتوقف عند هذا الخاطر ..

كالحيوان !

ونظر الى الماء الذي يتدفق حوله ، ومد يده ولمس كتلة الحديد التي

ترزح فوق قدمه ؟

ثم اعتدل في جلسته وأخرج المطواة من جيبه وفتح نصلها ..

إن بعض الحيوانات تنهش ساقهـــا ، لكي تنجو من فخ سقطت فيه .. فهل يستطيع الانسان أن يفعـــل ذلك ؟ هل يستطيع أن يقطع قدمه ؟

* * *

واشمأز من الفكرة ، وأعاد المطواة إلى جيبه !

لا يزال هناك بعض الوقت ، لا يزال أمامه عشرون دقيقة على الأقل .

ولكن إذا كان قد مضى على رحيل ريد ساعة ونصف ساعة ، فمعنى ذلك أنه لن يعود ..

آه .. لو أستطيع فقط ان أراه مرة اخرى وانظر في عينيه ؟

ان نظرة واحدة تكفي لمعرفة دخيلة نفسه !

ووصل الماء إلى صدره ..

بعد أقل من ساعة ، سيصل الماء إلى انفه .

ومد يده إلى المطواة مرة أخرى .

هذه هي الوسيلة الوحيدة ، ولا بديل لها سوى الموت .

وأرسل بصره إلى المنزل ، والى المراعي الخضراء ..

ما أجمل امسيات الصيف في هذا المنزل ! وما أروع المناظر الطبيعية حوله في الربيع ؟

ان رجلا بساق واحدة يستطيع أن يرى ويسمع ويستمتع .. أما الرجل الميت فإنه لا يرى ولا يسمع شيئا .

وفتح نصل المطواة ، ومر عليه بإصبعه ..

انه حـاد !

آه .. ليته يستطيع قطع القدم في المكان الذي تهشم تحت كتلة الخشب ؟

سينزف دمه بطبيعة الحال ، وربما ينزف الكثير من الدم .

وتذكر الحوت الذي اصطاده منذ ثمانية اشهر .

إن رائحة الدم تجتذب الحيتان .

ولكن ربما لا توجد حيتان في هذه المنطقة ، وإذا وجدت فربما لا تكون من النوع المفترس ..

* * *

ولمس قدمه بيده ، وشعر من ذلك بألم هائل .

ولكن لا بد مما ليس منه بد ، هلم .. وكفى ترددا ، لا أحـد سيأتي لانقاذك .

والمد لن ينتظر !

ونظر حوله ، إلى حطام الجسر ، ثم إلى المطواة

ومن عجب ان ابتسامة غريبة إرتسمت على شفتيه في تلك اللحظة .

المد .. المد ..

يا الهي ! كيف غابت عنه هذه الفكرة ؟

واتسعت الابتسامة على شفتيه ، حتى شملت وجهه كله !

ثم انفجر ضاحكاً ..

* * *

تدفق الماء من النهر وملأ المنخفض ..

وسمع من بعيد صوت سيارة تنهب الأرض بأقصى سرعتها ، ثم ظهرت السيارة بين الأشجار ، واقتربت ..

كان يقودها فورمان وقد جلس بجواره لويد ريد ورأسه معصوبة بضمادة بيضاء .. بينما جلس الدكتور ساندرز وجوليان ميسون في المقعد الخلفي .

* * *

ووقفت السيارة في اقرب موضع الى الجسر ، وفتحت أبوابها ، ووثب منها الرجال الأربعة .

وكان ريد أول من وصل الى الجسر .. فوقف عند حافة المنخفض ونظر حوله ..

لم ير سوى حطام الجسر ، والماء ؟

قال :

– لقد جئنا بعد فوات الوقت ، كنت أعلم ذلك .

فقال فورمان :

– اين تركته ؟

– هناك ، عند الكتل الحديدية ، كان راي تحتها .

وعندئذ سمع الرجال صوتاً يهتف :

– هالو .

فبحثوا عن مصدر الصوت ، ورأوا جارفن ممداً على حافة المنخفض وظهره مستند الى هيكل القارب ، والمطواه في يده ، والجاكيت الملوث بالوحل يغطي قدميه .

قال جارفن :

– لماذا تأخرت يا ريد ؟

فهتف ريد بصوت اجش :

– انت ، انت ؟ على قيد الحياه ؟

وحلق نحو جارفن ، واستقرت عيناه على الجاكيت التي تغطي قدميه وتمتم قائلاً :

– ولكن كيف ، كيف ؟

فقال جارفن :

– انني سألتك يا ريد لماذا تأخرت ؟

فاقترب الدكتور ساندرز من حافة المنخفض وقال يحدث جارفن :

– انه قال لنا ان كتلة من الحديد سقطت على قدمك ومنعتك من

الحركة ، فهل جاء من ساعدك يا راي ؟

ـ لم يساعدني احد ، ولكني أريد ان اعرف ماذا حدث لريد !

فقال ريد :

ـ اني كنت مسرعـــاً بالسياره فخرجت عن الطريق واصطدمت بشجره واغمي علي ، ولا اعلم كم بقيت فاقد الرشد ؟

قال ذلك وأشار إلى رأسه المعصوب .

فقال جارفن :

ـ انني أعرف تمـــاماً كم بقيت فاقد الرشد ، ولو كنت في مثل مركزي لحسبت الوقت بالدقائق والثواني .. ولأدهشك كيف يرتفع المد بسرعة حين لا تريده أن يرتفع ، ولوجدت نفسك تفكر كيف سيكون شعورك حين يصل الماء إلى أنفك .

فهبط الطبيب إلى حيث كان جارفن وركع بجانبه وقال :

ـ دعني اري قدمك !

فقال جارفن :

ـ صبراً لحظة يا دكتور ..

ـ ولكن ، إذا كانت قدمك قد تهشمت ؟

فقال جارفن وعيناه على ريد :

ـ صبراً لحظة ، إن الانسان في مثل مركزي يا ريد يفكر في أشياء كثيرة ، وقد فكرت طويلا وهداني تفكيري إلى هذه .

ولوح بالمطواة في يده واستطرد قائلاً :

ـ وتذكرت ما يروى عن الحيوانات التي تنهش سيقانها لكي تفلت

من الفخ ..

فسقط فك ريد ، وأشار باصبعه إلى قدمي جارفن اللتين تغطيهما الجاكيت وقال في ذعر :

– هل تعني ، هل تعني انك قطعت قدمك ؟

– انني فكرت في ذلك وقتـــا طويلا .. وانتظرت النجدة .. وابتهلت إلى الله .. بينما كان المـاء يرتفع ، حتى وصل إلى صدري ، ثم إلى عنقي !

فقال الطبيب وهو يمد يده ليرفع الغطاء عن القدمين :

– يحسن بك أن تدعني أري قدمك يا راي !

ولكن جارفن أبعد يده ومضى في حديثه ، قال :

– توقعت ان تكون عظام القدم قد تهشمت ، وأن عملية البـتر في هذه الحـالة لن تكون عسيرة .. ولكن مـا اقلقني .. هو الألم الذي لا بد أن اشعر به ، والغيبوبة التي قـد تصيبني ، وانا اقوم بعملية البتر .

فغمغم ريد قائلاً :

– يا إلهي ..

وابتسم جارفن وطوى نصل المطواة ، ووضعها في جيب سرواله ، وقـال :

– وفجأة خطرت لي فكرة أخرى .. فكرة من البساطة بحيث لم أتمالك من الضحك .

فقال الطبيب :

- ماذا كانت هذه الفكرة بحق الشيطان ؟

- فكرت في القارب الذي كان مربوطاً بجواري .

- انني لا أراه !

- لقد جرفه التيار منذ دقائق ..

- ولكن كيف ؟

- كان القارب مشدوداً إلى الجسر بحبل ، فمددت يدي بالمطواة إلى اقصى ما استطيع وقطعت الحبل .

فابتسم الطبيب وقال :

- وربطت طرف الحبل بكتلة الحديد ، فلما ارتفع المد ، ارتفع القارب ورفع الكتلة معه !

- تماماً ؟

فأسرع الطبيب الى الجاكيت فرفعها ، ورأى القدمين تحتها .

صاح :

- جئني بحقيبتي من السيارة يا فورمان ، وليذهب احدكم الى اقرب تليفون ليطلب عربة اسعاف .

والتفت الى جارفن وقال :

- اظن انه يحسن ان ننقلك من هنا على محفة .

واحضر فورمان الحقيبة بينما ظل جارفن ينظر الى ريد ..

كانت الجريمة واضحة في عيني هذا الأخير ..

وتناول من حقيبته حقنة ، وجفف مكاناً في ساعد جارفن وغرس فيه الابرة وهو يقول :

— سأخفف آلامك الآن !

فهز جارفن رأسه ، وظل ينظر إلى وجه ريد المتقع ..

قال لنفسه :

— يكاد المريب يقول خذوني ، ولكن ما الفائدة من اتهامه ، اليس الأفضل أن اتركه لضميره ؟ سوف تلازمه عقدة الذنب الى أن يموت !

ثم قال بصوت مرتفع :

— هل أجد معك لفافة تبغ يا ريد ؟ لقد سقطت علبتي في الماء وحملها التيار !

المـدير

على الرغم من ان لقب ارنولد فوستر ، زوج اختي ، هو « مساعد رئيس مجلس اداره بنك فوستر » ، الا أنـه يشغل أكبر منصب في الفرع المحلي للبنك .

وقد كانت صلتي به قبل ان تموت اختي ، كأفضل مـا تكون الصلات بين الاصهار .. ذلك انه كان يحب اختي ويحترمهـا ويتجنب اغضابها .. فهيأ لي وظيفة في البنك ، واقرضني مـا احتاج اليه من مال ، بل وقام مرة بسداد بضع مئات من الدولارات ظهرت عجزاً في عهدتي .

وقد اقترنت عملية السداد بمحاضره قاسية ، ولكنه لم يطردني ، ودفع المبلغ من ماله الخـاص ، وقبل وعدي بألا أمس اموال البنك مرة أخرى .. ونسي الموضوع تمامـاً ، إلى أن وقعت في المحظور مرة ثانية .

وفي هذه الأثناء كانت اختي قد توفيت ..

وعلى الرغم من ان العجز في هذه المرة لم يتجاوز خمسة وسبعين

دولاراً . إلا أنه كان في نظره بمثابة مليون دولار ، ففصلني على الفور ، وأمهلني أربعاً وعشرين ساعة لأرد المبلغ ، وإلا اتهمني بالاختلاس ، فاضطررت إلى ان اقترض المبلغ بالربا الفاحش .

ويبدو أنه احسن اليّ بفصلي ، لأنني وجدت وظيفة افضل ، عن طريق ماري كونلتز ، صاحب مكتب المراهنات الذي كان سبباً في اقدامي على الاختلاس مرتين .

ارسلني كونلتز إلى جو وارتز .. وهو صاحب شركة للنقل تخصصت في اختطاف سيارات النقل وسرقة ما فيهـا من بضائع .. وكان وارتز بحاجة إلى سائق سيارة ، فقبلت العمل عنده بمائتي دولار في الأسبوع ، واستمر عملي عامين ، إلى أن ضبط البوليس الفيدرالي سيارة وراتز مشحونة بالبضائع المسروقة ، ومن حسن الحظ انني لم اكن بين الذين قبض عليهم من رجـال وارتز .. فلم ينلني اكثر من انني خسرت الوظيفة .

ولم أوفق إلى عمل آخر ، وكنت على وشك الافلاس تماماً حين التقيت مصادفة بارنولد .

كان ذلك أول لقاء بيننا منذ فصلني .

كان اللقاء في مشرب يقع على بعد عشرة كيلومترات خارج المدينة ، وهو ليس من المشارب التي تتوقع أن ترى فيها شخصاً محترماً كمدير أحد البنوك ، ولكنه مكان سيىء السمعة يسوده الظلام ، وكل زبائنه من الرجال الذين يختلفون عليه لمغازلة العاملات ، ولا مانع لدى إدارته من أن يصطحب الزبون إحدى العاملات ويخرج بها لقاء أجراً معلوم .

وعلى الرغم من أن المشرب كان معتماً في الداخل بحيث يتعذر عليك أن تتبين ملامح شخص يبعد عنك متراً ، إلا أنه كان من الخارج يسبح في فيض من الأنوار الساطعة ..

* * *

كانت الساعة قد قاربت العاشرة مساء حين وصلت إلى هذا المشرب ، ولم اكد اقترب منه ، حتى فتح بابه وخرجت منه سمراء فاتنة في نحو الثلاثين من عمرها .

كانت ترتدي معطفاً ثميناً فوق ثوب اخضر ملتصق بجسدها ، وقد لطخت خديها وشفتيها بالأصباغ الصارخة ، وكنت أعلم أنها من عاملات المشرب فلم اعرها اهتماماً .

ولكني ما لبثت أن رأيت رجلاً انيقاً في نحو الخامسة والأربعين يخرج في أثرها ، وتملكتني الدهشة حين عرفته

هتفت قائلاً :

– هالو . أرنولد .

فتوقف هو والمرأة عن السير ، وخيل الي ان وجهه قد احمر ، ولكن صوته كان طبيعياً ولا ينم عن الارتباك .

قال :

– كيف حالك يا ملفن ؟

فاجبت وأنا أحيي المرأة بابتسامة :

- انني في خير حال ..

- هذه مس تينا كروفورد . تينا ، هذا مالفن هول .. صهري .

ووضح من ابتسامة المرأة ونظراتها أنها عرفتني ، فقد حاولت مرة أو مرتين ان تجاذبني أطراف الحديث في المشرب .

قالت :

- أظن اننا تقابلنا قبل الآن ؟

- آه .. هذا صحيح !

وانصرف الاثنان ، فشيعتهما ببصري حتى توارياً خلف المبنى ، حيث يوجد موقف للسيارات .

كان انصراف ارنولد إلى اللهو والعبث ولما ينقض عامان على وفاة زوجته أمراً يثير الدهشة والفضول ..

وفجأة ، خطر لي أن مجلس إدارة بنك فوستر لا يمكن ان ينظر بعين الرضى إلى قيام صلة بين مدير احد فروعه وفتاة مستهترة من فتيات الحانات ، وفكرت في ان أية إشارة إلى هـذا المعنى ، يمكن أن تقنع أرنولد بأن يقرضني مبلغاً من المال .

* * *

انتظرت حتى انطلق ارنولد وتينا بالسيارة ، ثم أسرعت إلى سيارتي وانطلقت في اثرهما .

وبعد ان اجتاز أرنولد نحو خمسة عشر كيلومتراً انحرف إلى طريق

جانبي ممهد ومر بمزرعتين . وأوقف السيارة تحت الأشجار ، امام مبنى ضخم يتألف من طابقين !

وزاد فضولي ، فقد كنت اعلم ان هذا المبنى .هو مقر نادي الثلاثين ، وأن الطابق الأول منه يضم مطعماً وملهى ، أما الطابق الثاني فيدار خلسة كناد للمقامرة .

* * *

أوقفت سيارتي بعيداً بين صفوف السيارات التي تحيط بالمبنى ، وانتظرت بضع دقائق ، ثم دخلت النادي !

كان المكان غاصاً بالناس فلم يعرني احد التفاتاً ، وطفت بالمطعم والمرقص والبار ، فلم اجد اثراً لأرنولد أو تينا .

لا بد انهما صعدا الى الطابق الثاني .. ولا شك ان مجلس إدارة البنك لن يرضيه ان يختلف أحد مديريه الى ناد للقمار ، كما لا يرضيه ان يكون لهذا المدير صلة بامرأة مستهترة تعمل في حانة ..

وقررت ان اضاعف المبلغ الذي سأطلبه من ارنولد ؟

عدت الى سيارتي ، وقبعت فيها .. وانتظرت !

وفي منتصف الساعة الواحدة صباحاً ، خرج أرنولد وتينا واستقلا السيارة الزرقاء الفارهة وانطلقا بها في الطريق الى المدينة .

فتبعتهما من بعيد ، وحرصت على ألا ادعهما يشعران بي ..

وعرجت السيارة الزرقاء على منزل ارنولد ودخلت المرآب .

وبعد قليل اغلق ارنولد باب المرآب ، ورافق تينا ودخل معها المنزل من باب جانبي ؟

* * *

لم يكن أرنولد قد انجب ، فهو الآن يقيم وحده بالمنزل ، وليس ثمة ما يمنعه من ان يصطحب احدى النساء ، ولكن المفروض في رجــال البنوك ان يكونوا فوق الشبهات كرجال الكنيسة ، ولأرنولد جيران ، فكيف يتغاضى عن سمعته على هذا النحو ؟

وقررت أن يكون المبلغ الذي اطلبه كقرض بلا ضمان ، هو الف دولار .

* * *

كان اليوم التالي يوم خميس ، فذهبت الى البنك قبيل الساعة الثانية وحينما رآني أرنولد في مكتبه ، لم يرحب بي ، ولكن لم يبد عليه أنه شعر بالاستياء !

ترك رسالة كانت بيده وهتف قائلاً :

– أهذا انت يا ملفن ! تعال .

ونهض الى الباب فأغلقه ، ثم عاد الى مقعده فقدمت اليه لفافة تبغ ، ولكنه هز رأسه فأشعلت لفافتي . واخذت ادخن في هدوء .

قال :

– ماذا عندك من الأنباء يا ملفن ؟

– الواقع . انني فكرت في اننا يجب ان ننهي ما بيننا من قطيعة فنحن اقارب على كل حال !

– انني لست حاقداً عليك يا ملفن ؛ ولكن اذا كنت تنشد وظيفة أو قرضاً ؛ فاعلم اني لن استطيع استخدامك او اقراضك ؛ ولكني على استعداد لأن اوصي بك من يمكنه استخدامك ؛ بشرط الا تكون للوظيفة صلة بالمعاملات المالية .

فرمقته بنظره عتاب فقال :

– لا اظنك تنتظر مني ان ارشحك لوظيفة في بنك آخر .. واذا كنت بحاجة الى توصية فاطلبها بسرعة .. لأن غداً سيكون آخر يوم لي هنا .

فسألته في دهشة :

– هل قررت ان تتقاعد ؟

– اتقاعد ولما ابلغ الخامسة والأربعين ؟ لا أظن .

فقدم لي الرسالة .. التي كانت في يده حينما دخلت فقرأت فيها ما يلي :

عزيزي مستر سترونج ..

تلبية لما جاء في خطابكم ؛ فإننا سننتظر قدومك بقطار الساعة الثانية من بعد ظهر يوم الاثنين ١٤ سبتمبر ؛ ومن سوء الحظ انني لن اكون في استقبالك لارتباطي بموعد آخر ؛ فقد كلفت مس ستيلا مارشال

رئيسة الحسابات باستقبالك ، كما اني حجزت لك غرفة بفندق ليفريت ، وستذهب بك مس مارشال إلى الفندق او إلى البنك وفقاً لرغبتك ، فإذا أردت مقابلتي يوم الاثنين فإنني سأمكث في البنك حتى الساعة الخامسة ، وإلا فليكن لقاؤنا في صباح الثلاثاء ..

واني لأرجو لهذا اللقـــاء ان يكون فاتحة لصداقة طويلة .. وتعاون مثمر .

الامضاء

ريموند بيرك

رئيس الخزانة

فقلت وأنا أعيد اليه الخطاب :

– ما معنى هذا ؟

فأجاب في أسى :

– انني نقلت إلى فرع البنك في (ليفريت) .. لقد أصيب مـدير الفرع بأزمة قلبية ، وتوفي منذ بضعة أيام ، فقرر رئيس مجلس الادارة أن أحل محله .

– يخيل الي انك لست سعيداً بهذا القرار ..

– إن القرار يتضمن ترقيتي إلى منصب نائب رئيس مجلس الادارة ، ولكني سأكون غريباً في تلك المدينة ، لقد كنت سعيداً هنا ، وسأفتقد أصدقائي الكثيرين ؟

فقلت لنفسي : لعل أول من سيفتقده . هو تينا ..

قلت له :

- ولكن لا بد أن يكون لك أصدقاء في البنك هناك .

فأجاب :

- كنت أعرف سام موريسون ، المدير السابق ، ولكنه توفي كما قلت لك . وفرع (ليفريت) هو أحدث فروع البنك ، فقد بدأ عمله منذ شهر ، ولم يسبق لي أن رأيت أحداً من موظفيه ، كما انني لا أعرف أحداً في المدينة .

وهنا خطر لي خاطر عجيب لم أدر من اين هبط علي .

فسألته :

- ألا تعرف أحداً على الاطلاق ؟

- انني لم أذهب قط إلى ليفريت ، فإنها تبعد عن هنا نحو ثلاثمائة كيلومتراً ، ولم تسنح لي فرصة للمرور بها بسيارتي .

وأنساني الخاطر الذي ومض في ذهني كل شيء عن القرض الذي جئت في طلبه .

سألته :

- ولماذا تذهب بالقطار بدلاً من السيارة ؟

- إن سيارتي تحتاج إلى اصلاح ، فقررت أن أبيعها لأشتري سيارة جديدة في ليفريت ، ومن حسن الحظ انني وجدت من اشترى المنزل والأثاث ، وستكون مهمتي يوم الاثنين أن احمل حقائبي وأرحل .

- وما موعد قيام القطار يوم الاثنين ؟

- الساعة الخامسة والنصف صباحاً لماذا ؟

— إنك ساعدتني . واسديت الي كثيراً من الخدمات ، سآمر بك وأحملك في سيارتي إلى المحطة .

— شكراً لك .. انني اتفقت مع احدى سيارات الأجرة .

ولم يكن تنفيذ المخطط الذي تفتق عنه ذهني يتطلب حتماً أن أوصله إلى المحطة ، فلم أصر ، وأطفأت سيجارتي ونهضت ، ومددت له يدي قائلاً :

— أتمنى لك التوفيق يا أرنولد ، ولقد كان من حسن حظي ان اراك قبل رحيلك .

فنهض بدوره وشد على يدي بحرارة وقال :

— شكراً لك يا ملفن ، أنا أيضاً أرجو لك التوفيق ، وما زلت على استعداد لأن أكتب لك التوصية .

— لست بحاجة اليها ، فإنني في خير حال ، إنما جئت فقط لأزيل ما كان بيننا من جفاء .

وغادرت البنك ، فقصدت بسيارتي إلى مكان يطل على النهر ، وجلست هناك أطل على الماء وأفكر .

* * *

ما ان تبلورت خططي ، حتى وجدت أن الفكرة العجيبة التي خطرت لي في مكتب ارنولد ، ليست مجرد خيالات وأوهام ، وإنما هي فكرة عملية قابلة للتنفيذ ..

لم يكن أرنولد يعرف احداً في ليفريت ، ومعنى ذلك ان احداً هناك لم يكن يعرفه ..

فقد كان لي من الخبرة بالاجراءات المصرفية بعد عملي في البنك طوال ثلاث سنوات ، ما يساعدني على أن أشق طريقي لمدة يومين على الأقل ، ويومان يكفيان لتنفيذ خطتي ..

إن من حق مدير البنك ان يدخـــل القبو وان يعرف سر فتح الخزانة .. بل ومن حقه ايضاً ان يحتفظ بمفاتيح المبنى نفسه ، فإن وجدت الشجاعة الكافية لتنفيذ خطتي ، فإنني استطيع الاستيلاء على مبلغ ضخم والفرار به إلى الخارج قبل ان تكتشف السرقة

والعقبة الوحيدة هي ان تنفيذ الخطة كان مستحيلاً ما لم ارتكب جريمة قتل .

واستغرقت في التفكير حتى أرخى الليـل سدوله دون ان اوفق إلى حل لهذه المشكلة ..

واخيراً قررت .. إن الغنيمة الضخمة تستحق مجـازفة جسيمة ، يضاف إلى ذلك انه لم يكن بيني وبين ارنولد حب مفقود .

ولما كانت مشكلتي الأولى هي التخلص من ارنولد دون أن يشعر احد باختفائه .. فقد ركزت تفكيري على هذه النقطة ، ووجدت ان كل شيء يتوقف على البرنامج الذي وضعه ارنولد لقضاء عطـلة نهـاية الأسبوع ..

فمثلا .. إذا كان موظفو البنك ، قد حددوا مساء يوم السبت

لاقامة حفل وداع لأرنولد .. فـــإن ذلك يكون كارثة لا سبيل إلى اتقائها .

كانت افضل طريقة لمعرفة برنامجه ، هي سؤاله ..

فاتصلت به تليفونيـــاً في منزله ، في الساعة الثامنة والنصف .. وقلت له :

– انني اود على سبيل الاعتراف بفضلك علي ، أن أقيم لك حفل وداع بسيط ، وأن ادعوك للعشاء قبل رحيلك ، فهل انت مرتبط بحفلات أخرى في نهاية الأسبوع ؟

فقال دون تردد :

– كلا . فقد أقام لي موظفو البنك حفل وداع يوم السبت الماضي ، وليس في نيتي البقاء في المدينة في نهاية الأسبوع ..

– أحقاً ؟ كنت أظن انك لن ترحل قبل صباح الاثنين .

– هذا صحيح . ولكني قررت قضاء بعض الوقت في صيد السمك في بحيرة (بيموس) .. لقد بعت السيارة منذ ساعتين ، والرجل الذي اشتراها وافق على ان يتركها لي حتى نهاية الأسبوع ، ولذلك سأنطلق بها غداً إلى البحيرة ولن أعود قبل مساء الأحد ، وسوف لا استطيع قضاء السهرة معك ، إذ يتعين علي النهوض باكراً للحاق بقطار الساعة الخامسة والنصف .

فقلت وأنا اصطنع الأسف .

– يا لسوء حظي ! كنت ارجو أن أقضي معك سهرة اخيرة ، مع من ستذهب لصيد السمك ؟

— سأذهب وحدي ..

كان كل شيء يبدو على ما يرام .

قلت له :

— حسناً . اتمنى لك صيداً وفيراً ..

— شكراً لك ، وشكراً على الدعوة التي لا استطيع تلبيتها .

وبعد أن وضعت السماعة ، جلست أفكر ، إلى أن وضعت اللمسات الأخيرة لخطتي ، ثم اويت إلى فراشي .

* * *

في صباح يوم الجمعة ، ذهبت إلى أحد المتاجر واشتريت ثقلين من الحديد وبعض الحبال ، ووضعت كل ذلك في حقيبة السيارة .

وكان ذلك اليوم ، هو آخر يوم يقضيه أرنولد في البنك ، فخشيت ان يترك عمله مبكراً في ذلك اليوم الأخير . فيفسد كل مخططاتي بالذهاب إلى البحيرة قبل ان أقابله ، فقررت أن اراقبه ، وكنت في سيارتي على على مقربة من البنك .

وفي الساعة الرابعة والنصف ، بدأ موظفو البنك في الانصراف ، وبعد دقائق خرج أرنولد ونورمان براي من مبنى البنك ، وسارا معاً إلى حيث كانت تقف سيارة نورمان ..

وبعد أن تحادثا قليلاً ، شد نورمان على يد أرنولد وركب سيارته ،

وذهب أرنولد إلى سيارته واستقلها وانطلق بها .

وتبعته حتى وصل إلى المنزل ورأيته يودع سيارته الكاراج ، فانتظرت بضع دقائق ثم قرعت جرس الباب .

وبعد قليل ، فتح أرنولد الباب ودهش حين رآني .

قـــال :

– كنت في الطـــابق الثاني اعد حقيبتي .. ويؤسفني انني تركتك تنتظر . تعال !

فدخلت وأغلق الباب خلفي ، ولاحظت أنه لا يزال يرتدي الثياب التي خرج بها من البنك .

قلت له :

– أمض في عملك ، فما جئت إلا لأودعك .

– إنني فرغت من اغلاق الحقيبة الأخيرة عندما دقت انت الجرس ويؤسفني انني لا استطيع أن اقدم لك شراباً لأنني تخلصت من كل شيء عدا الأثاث .

فقلت وأنا اسير ببطء نحو قاعة الاستقبال :

– لا بأس ..

وتبعني ولاحظت انه ينظر اليّ بشيء من الارتياب .

سألته :

– ألا يوجد أحد بالمنزل ؟ ألا تنتظر قدوم احد ؟

فرمقني في دهشة واجاب :

– كلا .. انني كنت اعتزم الخروج بعد بضع دقائق .

فاقتربت وأنا ابتسم ، ولا شك انه لم يكن يتوقع ضربة (الكاراتيه) التي سددتها إلى عنقه بكل ما املك من قوة ، لأنه نظر الي في دهشة ، وسقط على ركبتيه وانكفأ على وجهه .

والمفروض ان مثل هذه الضربة تكفي لكسر العنق وتقتل المصاب على الفور ..

ولكن يبدو ان ارنولد كان قوي العنق لأنه كان لا يزال يتنفس حين قلبته على ظهره . فسددت إلى أنفه ضربة كاراتيه اخرى ، واحسست بعظام الأنف تتفتت تحت يدي ، وانثنت ركبتاه فوق صدره بحركة لا إرادية ، وخمدت انفاسه .

ونهضت واقفاً .. وانطلقت إلى الأبواب الأمامية والجانبية لأتحقق من أنها مغلقة ، ثم عدت إلى الجثة واخرجت حافظة النقود من جيبها .

كان بها كثير من الأوراق التي تثبت شخصية صاحبها ، ولم تكن الأوصاف المسجلة في رخصة القيادة تنطبق علي ، ولكن رجال المرور قلما يحفلون بالتفصيلات .

كذلك كان بالحفظة نحو مائتي دولار .

وضعت الحفظة في جيبي ؛ وفتشت جيوب أرنولد ؛ فعثرت على حلقتي مفاتيح .. احداهما للسيارة ؛ والأخرى لأبواب المنزل ؛ فوضعتها في جيبي ..

وفي غرفة النوم بالطابق الثاني ؛ وجدت حقيبتين محزومتين وحافظة اوراق .. وتوقعت ان اجد بالحافظة شيئاً يتصل باعمال فرع البنك في

(ليفريت) ، ولكنها كانت خالية تماماً .

نقلت الحقيبتين وحافظة الأوراق إلى الطابق الأرضي ولما لم يكن هناك ما افعله قبل هبوط الظلام ، فقد تسللت خارجاً من احد الأبواب الجانبية واعدت غلق الباب بالمفتاح .

وعدت إلى المنزل قبيل منتصف الليل ، وأوقفت سيارتي في الظلام أمام الباب الجانبي واخرجت الحبال والثقلين الحديديين من صندوقها .. ودخلت .. وارهفت اذني في حذر .

كان الظلام حالكا ، فأضأت احد المصابيح .. ووجدت جثة أرنولد حيث تركتها

جردتها من الثياب بسرعة ودسست الثياب في الحقيبتين .

ثم شددت الثقلين الحديديين إلى احدى ذراعي وساقي الجثة وتسللت إلى حيث اوقفت سيارتي وفتحت صندوقهـا ، ونظرت حولي .. كان هناك نور ينبعث من نوافذ منزل على بعد خمسين متراً ، ولكنه لا يصل إلى موضع السيارة ..

انني أتمتع بقوة بدنية عظيمة ، ولكنني كنت الهث واتصبب عرقاً بعد أن سحبت الجثة ووضعتها في صندوق السياره .

ثم حملت الحقيبتين وحافظة الأوراق ووضعتها على المقعد الخلفي ، وأطفـأت المصباح واغلقت الباب الجانبي .. وانطلقت بالسياره صوب النهر ..

كانت حركة المرور هـادئة في ذلك الوقت من الليـل ، فأوقفت سيارتي فوق الجسر . وبعد ان تحققت من خلو المنطقة تمـاماً من المارة

والسيا ات . فتحب صندوق سيارتي وحملت الجثة والقيت بها من فوق حاجز الجسر .

وكانت الساعة قد تجاوزت الواحـده صباحاً حينما عدت إلى منزلي وأويت إلى فراشي ..

* * *

وفي صباح اليوم التالي . وهو يوم السبت .. بعت سيارتي لأحد تجار السيارات القديمة .. وقضيت يومي السبت والأحد في التدرب على تقليد امضاء أرنولد كما رأيتها مسجلة في رخصة القيادة .

لم تكن هناك ضرورة لذلك ، ولكني لاحظت من الخطاب الذي قرأته في مكتب أرنولد ، أن هذا الأخير كان يتبادل الرسائل مع رئيس خزانة فرع البنك في (ليفربت) فخشيت أن يلاحظ رئيس الخزانة اختلافاً في الامضاء إذا أنا اضطررت إلى توقيع بعض الأوراق .

وكنت اقيم في شقة لا املك فيها سوى ثيابي القليلة .

فوضعت هذه الثياب في حقيبة واخطرت صاحبة الشقة في مساء الأحد عن اعتزامي اخلاءهـا ، واتفقت مع سائق إحدى سيارات الأجرة على موافاتي في الساعة الخامسة صباحاً لكي الحق بقطار الساعة الخامسة والنصف !

استغرقت رحلة القطار ثماني ساعات امضيتها كلها في هم وقلق ؟

استعرضت خطتي واخطارها المحتملة ..

هب انني قابلت في بنك (ليفريت) .. موظفاً يعرفني او كان يعرف أرنولد ؟

هب ان أحد أعضاء مجلس الادارة في المركز الرئيسي للبنـك قرر زيارة الفرع ؟

إن اي اتصال تليفوني بأرنولد من احد معـارفه ، يكفي لامـاطة اللثام عن خدعتي ، لأن صوتي يختلف تماماً عن صوت ارنولد .

كنت على استعداد للنكوص على عقبي .. والتخـلي عن المشروع كله .. لولا انني اتخذت فعلا خطوة لا يمكن الرجوع فيهـا ، وهي ارتكاب جريمة القتل .

كنت مصمماً على مغادرة البـلاد .. ولكنني لم اكن اريد ان أعيش معدماً !

وأخيراً قررت ، تجنباً للافتضاح ، أن ابقى في البنك اقـل وقت ممكن ، فأرجىء زيارتي الأولى إلى صباح الثلاثاء ، حتى إذا استوليت على مفاتيح الخزانة ، اصطنعت المرض ولزمت غرفتي في الفندق ، إلى أن يحين وقت الهرب .

* * *

وجدت ستيلا مارشال ، رئيسة الحسابات في انتظاري بالمحطة ..

كانت عانساً نشيطة تناهز الأربعين .. ولم تدهش حين رأتني ، رغم

أن أرنولد كان في الخامسة والأربعين عاماً ، وأنا في الرابعة والثلاثين ، إذ من المحقق أن موظفي البنك تحدثوا فيما بينهم عن مديرهم الجديد وتبادلوا معلوماتهم عنه .

اخبرتها انني مصاب ببرد ، ولست على استعداد الذهاب إلى البنك في ذلك اليوم ..

فأخذتني إلى الفندق وقالت لي في الطريق :

— إن مستر بيرك لا يعرف شيئاً عن مشروعاتك بشأن المسكن ، ولذلك لم يبحث عنّ شقة أو منزل ، ويحسن بك أن توضح له رغباتك شخصياً .

— كم يبعد الفندق عن البنك ؟

— مسيرة خمس دقائق .

— من الأفضل إذاً ان ابقى بالفندق بصفة مؤقتة .. إنني غير متزوج كما تعلمين !

— نعم .. اخبرنا مستر بيرك انك ارمل ؟

ولما وصلنا إلى الفندق ، عرضت علي ان تعود الي في صباح اليوم التالي لترافقني إلى البنك ..

ولكنني شكرتها ، وافهمتها ان لا ضرورة لذلك طالما ان البنك على مقربة من الفندق ..

وفي اليوم التالي وصلت إلى البنك في الساعة التاسعة تماماً ، فخف مستر بيرك لاستقبالي .

كان رجلاً نحيلاً اصلع الرأس يناهز الخامسة والثلاثين ، ويضع على عينيه نظارة سميكة .

تظاهرت بأنني مصاب بنوبة سعال ، وشكوت اليه البرد والانفلونزا ..

فأظهر عطفاً شديداً .. وبعد ان دلني على مكتبي ، طاف بي أرجاء البنك ، فقدم الي الموظفين .. واستقبلني هؤلاء بأدب ولطف ، فلم يرتب بي أحد ، مما أشعرني بكثير من الطمأنينة وراحة البال .

وفي نهاية المطاف .. رافقني مستر بيرك إلى القبو .. حيث توجد الخزانة ..

كانت تشبه خزانة البنك الذي عملت فيه برئاسة ارنولد ، ولذلك لم اكن بحاجة إلى إيضاح .

فقال مستر بيرك :

ـ لقد تعود المدير السابق على ان يضبط ساعة الخزانة على الخامسة وكان يشهدني على ذلك ، او مس ستيلا مارشال ..

وبعد وفاته ، كنت انا اقوم بضبط الساعة واشهد على ذلك مس ستيلا ، فهل تريد حضرتك الاضطلاع بمسؤولية الخزانة !

ـ نعم .. اين السجل ؟

فأحضر لي السجل .. وهو دفتر يسجل فيه الشخص الذي يقوم بعد ظهر كل يوم بغلق الخزانة والساعة المحددة لاعادة فتحها ثم يوقع عليه بامضائه .. وكذلك يفعل الشاهد .

ثم عدنا إلى مكتبي ..

وهناك قدم لي بيرك احد الملفات فقال :

– ستجد في هذا الملف موجزاً لنشاط البنك . وقائمة كاملة بالأرصدة والقروض .. والاستثمارات .. وغير ذلك .. وإذا اردت الاستفسار عن شيء فادعني !

– شكراً لك .. ان الاطلاع على كل هذه الأرقام والبيانات يتطلب اليوم كله لذا ارجو الا يزعجني احد . وحبذا لو قمت بتصريف اعمال البنك كما تعودت ان تفعل ..

– طبعاً .. طبعا .. وسأصدر تعليماتي بألا يزعجك احد .

قال ذلك وانصرف ..

فأغلقت الباب وشرعت في فحص الأوراق والأرقام .

رقم واحد كان يهمني ..

هو رصيد الخزانة النقدي في اليوم السابق ..

كان الرصيد هو مبلغ : ٢٥١٣٧٢ دولاراً .

أي ربع مليون ..

وعلى فرض أن خمسين الف دولار من هذا المبلغ هي بالعملات الصغيرة التي يتعذر حملها لضخامة حجمها ..

فإنه سيتبقى مائتا الف دولار .

ترى هل سيصل رصيد الخزانة مساء اليوم إلى مثل هذا الرقم ؟

وواصلت العمل طول النهار ، وراجعت الأرقام مراجعة فعلية

حتى اكون على استعداد ، فيما إذا أراد بيرك أن يناقش معي أعمال البنـك ..

وقبيل الساعة الخامسة ، غادرت مكتبي ، وسألت بيرك عما إذا كان الوقت قد حان لغلق الخزانة ..

فأجاب :

– نعم .. وقد استبحت لنفسي أن أختار الأرقام السرية التي يفتح بها القفل ؟

قال ذلك ، وقدم لي قصاصة من الورق عليها الأرقـام التي وقع عليها اختياره .

كانت هذه الأرقام تتغير كل يوم ، وتسجـل في قصاصتين من الورق ، يحتفظ الشخص الذي أغلق الخزانة باحداها ، ويحتفظ الشاهد بالأخرى .

واستطرد بيرك يقول وهو يقدم لي مفتاحين نحاسيين :

– وبهذه المناسبة ، اليك مفتاحي المبنى ، هذا مفتاح الباب الأمامي وهذا مفتاح الباب الخلفي .

وانتقلنا إلى القبو حيث توجد الخزانة ، وهناك قدم لي بيرك مفتاح الساعة وهو يقول :

– دعنا نضبط الساعة بحيث لا تفتح الخزانة قبل الساعة التاسعة والربع ، اي انها ستظل مغلقة ١٦ ساعة و ١٥ دقيقة .

فوضعت المفتاح في ثقب بالقرص الأول تحت الساعة وحركته حتى

وصلت المقارب إلى الساعة ١٦ و ١٥ دقيقة ..

ثم نزعت المفتاح من الثقب ، وحركت مقبض باب الخزانة إلى أسفل ليتم غلقها .

ثم سجلت الوقت في الدفتر المعد لذلك ، ووقعت بالحروف الأولى من اسم (أ. س) ، وكذلك فعل بيرك .

وقررت القيام بمغامرتي يوم الجمعة .. حتى يتهيأ لي الوقت الكافي للفرار ..

ذلك لأن السرقة لن تكتشف إلا صباح يوم الاثنين ، عندما يفتح البنك أبوابه بعد عطلة نهاية الأسبوع .

كذلك قررت ان أعمل في البنك اقل وقت ممكن ، حتى تقل فرص افتضاح امري

ولذلك اتصلت بمستر بيرك في الساعة التاسعة والربع من صباح الأربعاء وقلت له بصوت اجش :

— إنني طريح الفراش يا مستر بيرك ، فقد اشتدت علي وطأة الأنفلونزا .. أنا لا اريد الانقطاع عن عملي الآن .. ولكن ما حيلتي ؟

فقال مستر بيرك :

— أنا آسف يا مستر ستروتج .. ماذا استطيع عمله من أجلك ؟

فقلت متصنعا الألم :

— لا شيء .. لقد نصحني الطبيب بالراحة التامة ، وعدم استقبال

الزائرين ، وقاية لهم ، لا لشخصي .. وسأحاول مباشرة العمل غداً ، فإذا لم استطع ، اتصلت بك تليفونياً ..

فأجاب مستر بيرك :

— حسنـاً .. يا مستر ستروننج .. اعـتن بنفسك ، ولا تقلق بشأن العمل .

* * *

وبعد هذا الحديث ، اتصلت تليفونيـاً بالمطار ، واستفسرت عن مواعيد اقلاع الطائرات للخارج ، فقيل لي أن الطائرات لا تقلع فيما بين منتصف الليل والساعة السادسة صباحاً ..

فحجزت مكاناً باسمي الحقيقي .. للاقلاع في طائرة الساعة السادسة من صباح يوم السبت .. ثم غادرت الفندق .. وابتعت حقيبة جلدية كبيرة ..

وفي صبيحة يوم الخميس ، اتصلت بمستر بيرك مرة أخرى ، فقلت له انني ما زلت مريضاً ..

فأجاب :

— لا تتعجل مغادرة الفراش يا مستر ستروننج ، كل شيء هنا على ما يرام .. فقد تحدث مستر ريدنج امس .. كان يريد الاتصال بك للاطمئنان على سير العمل ..

ولما أبلغته بأنك مريض ، فقال انه يريدك ان تتصل به عندما تعود إلى العمل .

* * *

كان مستر بايرون ريدنج هو رئيس مجلس الادارة ، ولو انني تلقيت المكالمة لافتضح أمري على الفور .

فقلت أحدث بيرك :

– سأتصل به من غرفتي هنا ، انني مريض ، ولكن استطيع التحدث بالتليفون .

وفي صباح يوم الجمعة ، اتصلت بالبنك مرة أخرى ، وقلت لبيرك :

– إنني أحسن حالاً الآن ، ما زلت أشعر بدوار ، ولكنني سأحاول الخروج بعد الظهر ، فهل لك ان تنتظرني قبل موعد اغلاق البنك .

فأجابني مستر بيرك :

– حسناً يا مستر ستروننج . ولكن لا ضرورة للمجازفة بالخروج إذا كنت لا تزال متوعكاً ..

– أنا واثق من انني أحسن حالاً .

وذهبت إلى البنك ، قبيل الساعة الثالثة .. وتبعني مستر بيرك إلى مكتبي .

قلت له :

– هل استطيع الحصول على قدح ماء .. فقد آن لي ان أتناول بعض الأقراص .

فأحضر لي قدح ماء ، ووضعت القرص في فمي وشربت الماء .

فقال لي :

– لقد اتصل مستر ريدنبج مرة أخرى صباح اليوم ، كذلك اتصل مستر نورمان برادي منذ ساعة .. وقد قلت لهما انك ستكون في البنك قبل الساعة الثالثة وستتصل بهما .

ووجدت نفسي في مأزق ، وكنت لا أزال في حيرة من أمري حين أشار بيرك إلى جهازي تليفون على مكتبي وقال :

– هذا الجهاز للاتصال الداخلي ، وهذا الجهاز للاتصالات الخارجية المباشرة ..

– حسناً ارجو المعذرة .. سأتصل بهما الآن !

فانسحب من الغرفة ، وأغلق الباب وراءه .

ولم اتصل بالرجلين بطبيعة الحال ..

ولكن ذلك أمر لم يعرفه بيرك .

وأزفت الساعة الخامسة ، ولم يتصل بي أحد ، فغادرت مكتبي ورأيت بيرك مقبلاً ، فقال :

– لقد اعددت الرقم السري ؟

وقدم لي قصاصة من الورق ، عليها رقم . فوضعت القصاصة في

جيبي وسرنا في الطريق إلى القبو ..

وعند باب القبو ، توقفت عن السير وقلت وأنا أخرج من جيبي قرص دواء :

– أظن انه قد آن لي أن أتناول القرص الآخر .. هلا تفضلت علي بقدح ماء ؟

فأجابني مسار بيرك :

– طبعاً .. طبعاً !

وعاد مهرولاً ..

فأسرعت إلى الخزانة .. وضبطت عقارب القرص على الساعة ١٢ ، وأغلقت الخزانة ..

وحين عاد بيرك ، وجدني أسجل في الدفتر أن الخزانة اغلقت في الخامسة ، وستظل مغلقة طوال ٦٤ ساعة و ١٥ دقيقة ..

أي انها لا يمكن ان تفتح قبل الساعة التاسعة و ١٥ دقيقة من صباح يوم الاثنين ..

ووقعت بالحروف الأولى من اسمي !

تناولت القدح .. ونظرت إلى بيرك من ركن عيني .. وأنا ابتلع القرص ..

لاحظت انه دهش لأنني اغلقت الخزانة ..

ولكنه وقع على السجل بالحروف الأولى من اسمه دون ان ينطق بكلمة ..

قلت له ونحن نغادر القبو :

– طاب مساؤك يا مستر بيرك وإلى اللقاء صباح الاثنين .

* * *

كان الشارع مقفراً تماماً عندما عدت إلى البنك في منتصف الليل ودخلت من الباب الخلفي والحقيبة الجلدية في يدي ؟

وغادرت البنك بعد ربع ساعة والحقيبة مليئة بأوراق النقد من فئة خمسة دولارات او اكثر ؟

لم يكن لدي متسع من الوقت لحصر المبلغ ، ولكنني قدرته بما لا يقل عن مائتي الف دولار .

وعندما عدت إلى غرفتي في الفندق . اتصلت تليفونياً باحدى شركات سيارات الأجرة وطلبت موافاتي بسيارة تذهب بي إلى المطار في الساعة الخامسة والنصف .

وامضيت الفترة حتى الصباح في احصاء النقود .. كان مجموعها يزيد عن مائتين وثلاثين الفاً من الدولارات .

وما ان اغلقت الحقيبة حتى سمعت طارقاً على الباب !

أخفيت الحقيبة تحت الفراش وفتحت الباب ورأيت امامي رجلين لا اعرفهما .

سألني احدهما :

— هل انت مستر ارنولد ستروننج ؟

— نعم !

فأخرج الرجل من جيبه بطاقة شخصية لوح بها أمامي ودخل الغرفة وتبعه زميله .

فقلت مستفسراً :

— ما معنى هذا ؟

— ماذا جعلك تعتقد انك تستطيع الافلات يا مستر ستروننج ؟ لولا المائة التي اختلستها أخيراً لما استطاع رئيس الحسابات أن يكتشف المائة الف الأولى .. لا بد انك لم تتوقع ان اختلاس المائة الف دولار الثانيا من حساب أحد العملاء بمقتضى شيك يحمل توقيعاً مزوراً لذلك العميل سيكتشف بهذه السرعة . ولكن من سوء حظك ان العميل طلب بياناً عن رصيده فاكتشف التزوير والاختلاس مما حمل رئيس الحسابات على مراجعة جميع الأرصدة .. وكانت النتيجة انه اكتشف اختلاساً سابقاً بمائتي الف دولار أخرى !

لماذا لم تسرع بالفرار إلى خارج البلاد يا مستر ستروننج ؟

فذهلت واجتاحتني الدهشة !

إذاً أنا لست المختلس لأموال بنك فوستر ؟

لا عجب إذا كان أرنولد استاء لنقله من البنك ؟

اكبر الظن ان زيارته لنادي الثلاثين لم تكن الاولى . وانه حين علم بأمر نقله اختلس المائة الف دولار الثانية وعول على الفرار إلى خارج البلاد .

لا شك أنه لم يكن يستعد لرحلة لصيد السمك وإنما كان يستعد للفرار .
لماذا لم أفتش أمتعته ؟
لو انني فعلت لعثرت على المائة الف دولار !

* * *

تمتمت بصوت أجش :
ـ الحقيقة اني لست أرنولد استرونج .. أنا ملفين هول شقيق زوجته !
فقال الرجل ساخراً وهو يضع الأصفاد في يدي :
ـ أحقاً ؟ إذاً أين أرنولد سترونج ؟

فقلت لنفسي :
ـ آه .. هذه قصة أخرى !

ـ تمت ـ

فهرس

وأحس بالماء يصل إلى ركبته .

سأل صديقه :

– كم يبلغ ارتفاع الماء عندما يصل المد إلى ذروته في هذه المنطقة يا ريد ؟

– ثلاثة أمتار !

ففكر جارفن ..

ثلاثة امتار .. خلال ست ساعـــات ؛ أي حوالي نصف متر في الساعـــة .. ولكن كم يبلغ طول المسافة بين ركبة الرجل وأنفه ؟ حوالي ١٢٠ سنتيمتراً معنى هذا أن أمامه نحو ساعتين ونصف ، فإذا لم يخلص قدمه من تحت كتلة الحديد خلال هذه الفترة ..

قال :

– ريد !

– نعم ، هل فكرت في شيء ؟

فحول جارفن رأسه وقال وهو ينظر في عيني ريد :

– يجب أن تذهب في طلب النجدة ، يكفي رجلان قويان لرفع هذه الكتلة بحيث يتسنى لي أن اجذب قدمي .

فقال ريد وهو ينهض :

– أظنك على حق يا راي ، إن المسافة إلى المدينة لا تتجاوز خمسة اميال أو ستة أميال ، وربما أعثر على فورمان ، إنه قوي مفتول العضلات وكذلك كولياس !